

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما على حفظ الاحكام وجعله مهيمنا على سائر الكتب و حجة باقية منه على عباده الى يوم القيام والصلوة على من خص بنزول كلام الله على قلبه وجريه على لسانه لينذر الانام وعلى آله المستحفظين له العالمين بتأويله المقرونين به على مر الدهور والاعوام وعلى خزنة علومهم الداعين اليه واليهتم المتمسكين بهما فى جميع الاعصار والايام ولعنة الله على الصادين عنهما المنكرين لشأنهما اطفاء لنور الله وتشيدا لبنيان الكفرة الطغام.

وبعد يقول العبد الاثيم كريم بن ابراهيم انى لما وجدت ان الجور قدمد باعه والغى قد دعا اتباعه و انقرض العلماء العاملون والفضلاء المستحفظون و خلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة و اتبعوا الشهوات و قنعوا بحصول الرياسة و نفاذ الامر والسياسة و تلقى الناس اوامرهم بالسمع والطاعة و ان لم يصرفوا من عمرهم فى ازالة شكوك الناس ساعة و بقى الناس كسفينة لا ربانى لها او كغنم بلاراع قد اسلس لهم الشيطان للاصغاء الى اشكوك والشبهات ثم اشنق لهم عن الاستماع للبينات لاسيما اتفاق الداء العضال من تراود دول الضلال و تردد السفراء الجهال فى الاقاليم بهذا الخلال و حمل شبهات كل مملكة الى مملكة اخرى و نقل اذليل كل فرقة الى فرقة اردى والقلوب ضعيفة والنفوس عليلة و الخلق جهال و النقلة ضلال لا لامر الله يعقلون و لا من اوليائه يقبلون يحملون كتب كل قوم الى كل قوم و يجوسون خلال البلاد بالقاء الشبهات من غير لوم و النفوس مجيبة لكل داع الا الحق ملبية لكل داع الا الصدق المطلق فتمسكوا بتلك الشبهات و زخرفوها بما عندهم من المتشابهات و يتلاقون بها فى الانادى و يجادلون بها الحاضر و البادى يتفكحون بما يورد نقصا فى الدين و يهمزون بمن يلازم سنن المرسلين و يسخرون من الذين يستنكفون عن مجالستهم و يستهزئون بمن يتنزه عن مساورتهم و طال بهم الحال حتى ارتد كثير من الجهال و هم مع ذلك يمشون فى المسلمين لغلبة جهل الباقين و مسامحتهم فى الدين و عدم معرفتهم بمعنى الارتداد عن الدين المبين فيجالسونهم و يعاشرهم فيجادلونهم فى الله و فى رسله و كتبه و حججه حتى زحزحوهم بالكلية عن الايمان و دحرجوهم عن كتيب الاذعان و زلزلوهم عن الصراط المستقيم و اخرجوهم عن الدين القويم حتى زعموا جميع ذلك احاديث لهو و اخبار لغو و زعموا ان الانبياء كانوا رجالا طلاب دنيا فاحتالوا فى طلبها بوضع دين و ان ذكر الجنة و النار حيلة للترغيب و التهيب و ذكر الله تدبير للتخويف فى الظاهر و الباطن و قالوا ان القرآن تاريخ ناقص لعاد و ثمود و كتاب مشوش و كشكول ما ادرى اى مزخرفاتهم اقول

واللسان منها كليل وفي الصدر من صورها غليل والقلب من محنتهم عليل بالجملة آل امرهم الى انكار جميع ضروريات الاسلام وتصديق جميع اوهام الانام من غير احتمال كذب في هذا وصدق في ذاك وهذا ان يكفك شىء كفاك فبذلك سخط الله عليهم بتوارد البلايا ورفع البركات ولزوم العاهات والافات وجعل باسهم بينهم فضرب بعضهم ببعض ودفع بعضهم ببعض لم يبق شبر فى ممالكهم خلا من الظلم العظيم وامر من امورهم الا وفيه جور جسيم ومع ذلك لم يتنبهوا ولا يتنبهون ولم يرتدعوا ولا يرتدعون حكمة بالغه فما تغن الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون ومن جملة تلك الشبهات ما عرضهم فى امر القرآن المجيد الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل الحكيم حميد و زعموا انه يسعهم ان يصنفوا كتابا مثله وانه ليس بمعجز و اعجب من ذلك كله انهم زعموا ان بعض الفاظه وآياته يخالف العربية مع صدوره من افصح العرب فى عصر كان افصح الاعصار فى قرية كانت افصح القرى حتى زعم بعضهم انه يقدر على ان يأتى بمثله فاقدم على تأليف كتاب ذى سور واتى بخزعבלات مجّها كل سمع ونفروانى لما رأيت ذلك ورأيت ان احدا من العلماء الماضين لم يأتوا فى وجه اعجاز القرآن فيما اعلم بما يسكن اليه النفس ويطمئن اليه القلب ولم يفرّدوا لذلك كتابا مع اذعانهم جميعا بانه معجز لا يأتى احد بمثله احببت ان افرد رسالة فى هذا الباب وابدل مجهودى فى جمع الاقوال وما فيها من مقبول النظر ومردود الفكر ثم اذكر اليه ما يؤدى اليه نظرى القاصر وفكرى الفاتر مستعينا بالله ولا حول ولا قوة الا به وهو العلى العظيم ورتبته على مقدمه وخمسة عشر بابا وسميته بالايقان فى اعجاز القرآن وعلى الله التكلان انه كريم منان .

المقدمة

فى معنى الاعجاز والفرق بينه وبين السحر وغيره من آثار العلوم الغريبة والحيل وبعض ما يجب تقديمه وفيها فصول:

فصل: اعلم ان الله عزوجل خلق ما سواه من الامكان والامكان هو صلوح جميع الاكوان فكل حصة منه يصلح لجميع الاكوان ولا يخرج كون من الاكوان من الامكان الا بسبب مناسب مرجح يرجح وجود ذلك الكون على سائر الاكوان كالثالب المرجح لهيئة اللبنة على سائر الهيئات فيخرجها من امكان الطين و ابي الله ان يجرى الاشياء الا باسبابها وتلك الاسباب ايضا من الخلق ومن الامكان فجعل كل شىء لكونه ملقى مثاله ومظهر كماله سببا لشىء ومسببا لشىء فوقه و علة لشىء ومعلولا لشىء فوقه فجعل لجملة من الاشياء الانسان سببا فاجراها على يديه كالكتابة والحياكة والزراعة وامثالها من سائر اعمالهم الصناعية فانها كلها مخلوقة لله سبحانه اجراها على ايديهم وجعلهم اسبابا لها الله

خلقكم وما تعلمون. قل أفرايتم ما تحرثون ء انتم تزرعونه ام نحن الزارعون فيحسب الانسان انها من صنعته وتحت قدرته والله هو المالك لما ملكهم حين تملكهم والقادر على ما اقدرهم عليه حين قدرتهم قل كل من عند الله وقل الله خالق كل شىء وجعل لجملة من الاشياء اسبابا غير الانسان ولكنها مما يناله ايديهم فهم يقدرون على ما هم اسبابه فى تلك الاسباب كما جعل النار سبب الاحراق وجعل الانسان قادرا على اشعالها وتقريبها وتبعيدها والماء سببا للترطيب وجعل الانسان قادرا على اجرائه وصبه واستنباطه وامثال ذلك وهذا القسم نوعان فمنهما اسباب عامة يعرفها اغلبهم و هي شائعة او تعرف بادنى تأمل ومنهما اسباب خفية لايعرفها الا الاقلون كاسباب الكيمياء والسيما والهيما والليمياء والريمياء والشعوذة وغيرها من العلوم الغريبة والحيل العجيبة التى يعرفها آحاد الناس وجعل لجملة من الاشياء اسبابا غير الانسان ولاينالها ايديهم ولايقدرون على التصرف فيها كالاسباب السماوية والعلوية فانهم ببشريتهم الظاهرة العامة لايقدرون على التصرف فيها اللهم الا ان يتصرفوا فى القابل بما جعلوا سببا له كتغطيتهم الشىء حتى لايناله حر الشمس وامثال ذلك من الاسباب الظاهرة او الخفية الخاصة بأحد الناس وجعل لجملة من الاشياء اسبابا روحانية كما جعل الجن سبب رمى حجارة او تخريب بنيان وكما جعل الملائكة سبب اجراء امر فى العالم وجعل النفوس والارواح الغيبية سبب تحريك الاجسام الى غير ذلك من الاسباب الغيبية والشهادية فمقدورات الانسان الظاهر العامة امور معلومة يعرفها كل احد من نفسه وان لم يقدر عليها بالفعل فانه اذا رأى الشىء علاجيا يناله يد البشر وادرك وجه العلاج والحيلة فيه بعقله بغير واسطة او واسطة يعلم انه قادر عليه بالفعل او بالامكان وكلما رأى الشىء غير علاجى بايدى البشر وآلاته وادواته يعلم انه فوق قدرته مثلا اذا رأى الانسان مقدارا¹ لطيفا دقيقا يعلم انه من صنع البشر وان لم يقدر هو فى نفسه على صنعة مثله ولكنه يعلم بعقله انه مما تناله الايدى والآلات ويمكن معالجته وان لم يقدر هو عليه بالفعل واما اذا اخرج رجل مقدارا من جوف الجبل مثلا كاخراج الناقة يعلم ان هذا الاخراج ليس بعلاجى ولايناله ايدى البشر وآلاته وادواته البتة والقول الفصل انه ان كان يبلغ عقل البشروجه الحيلة فى الشىء ويدرك كيف وجه الحيلة والعلاج فيه هو مقدور للبشروان لم يتمكن فى الخارج على علاجه بيده لعدم ممارسته او لعدم تهيؤ اسبابه نعم قد تكون آلات وادوات مقدورة للبشر هي ظاهرة لبعض وخفية عن بعض مثلا اذا لم يراحد المقنطيس فى عمره ولم يسمع به وعرفه واحد فاخفاه فى كفه وقرب يده من حديد انجذب الحديد اليه كذلك الشيخ المضل الذى كان يجعل

¹ - المقدار الساعة

المقنطيس فى جوربه وينعل نعليه بالحديد فاذا مد رجله ليلبس نعله كان ينجذب اليها نعلاه و استقبلاها فجعل ذلك كرامة له عند جهال مريديه فالجاهل لايرى ذلك من مقدوراته و يحسبه معجزة فامثال هذه الحيل كثيرة فى العقاقير و الحروف و سرعة الحركات و الشعوذة و السحرتخفى على عامة الناس فانها اسباب مقدورة للبشر لكنها ليست مما يعرفها العامة فعلى ذلك يحتمل عند النبيه بهذه الامور اجمالا كون اكثر المعجزات من هذا القبيل فيرتاب و ليس هذه الريبة للجاهل الفطن بنقص فيه ما لم يقم عليه حجة بل هو من كماله و لم يكلف الله احدا شططا بل لله عزوجل الحجة على خلقه اذا اظهرانه ليس باسباب مقدورة للبشر فلم يقبله الانسان و عاند و اما اذا بقى الامر مشتبه عليه فلم يقم عليه الحجة فليس الله يؤاخذ به بتأمله اذا لم ينكرو لم يعاند و ان الله سبحانه من فضله و جوده جعل لذلك ميزانا آخر يعرف به ما هو من مقدورات البشر و ما ليس منها سنذكره بعد هذا الفصل ان شاء الله و من لم يعرف ذلك الميزان و شك فى معجزة فهو فى محله و ليس بمكلف بالقبول ما يحتمل عنده انه من اسباب خفية مقدورة البتة و ليس بجاحد للحق و لا بمرتاب فيه و ليس بكافر البتة و ذلك مقتضى العدل الذى لا شك فيه و لا ريب يعتره نعم على هذا الجاهل التأمل و التوقف و عدم الانكار و الجحود و العناد و الفحص عن الكواشف الخارجية حتى يتبين له الامر و لا تحتج بدخول قوم فى الدين عميانا و من غير تدبر و النبي المدارى لا يمنع احدا عن الدخول فى دينه و لو كان عميانا فلعله سيبصر عن قليل فلا تحتج بفعل الجاهل و العاقل لا يطاوعه قلبه التصديق من غير تعقل و من دخل فى الدين من غير دليل و حجة خرج من الدين بادنى شبهة و لا يجوز للعاقل التصديق بغير دليل فانه يحتمل عنده ان يكون ذلك من المدعى باسباب خفية مقدورة للبشر و يحتمل ان لا يكون فمقتضى الطبع السليم التردد و التوقف فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام فى الهلكات فتكليف هذا الرجل من عند الله عزوجل التوقف حتى يأتية البينة و الحجة الواضحة بل لو بادر الى القبول لكان خارجا عن مقتضى تكليفه آتيا بخلاف الحكمة و الفطرة المستقيمة فاما ما ذكره القوم و منهم قطب الدين هبة الله الراوندى فى الخرائج و الجرائح و صدقه المجلسى ان السحر و الحيلة لا حقيقة لها و انما هى تخييل و اراءة او حيلة علاجية يطلع على اسبابها فليس بمفيد للجاهل الذى لم يطلع على اسبابها و يرى الامر علانية هذا و بالسحر يفرقون بين المرء و زوجه و هو واقعى و ليس بتخييل و يضررون بالناس و ان كان لا يضررون الا باذن الله و يمرضون و يخربون البيوت و يعالجون المرضى و يجنونون الناس و يعالجون المجانين و يعزمون على الارواح و يرقون السموم الحيوانية و النباتية بان لاتضرو ويرثون المسموم بالرقى و غيرها فكيف ليس لها واقعية ولكنهم معذورون فانهم لم يطلعوا على العلوم الغريبة و تصريحاتها و ما يمكن من

تغيير اوضاع العالم بها ونسألهم هل يعرف اسبابها فى الفور او بعد جهد جهيد ولاشك انه لا يعرف اسبابها فى الفور ولا بد من الجهد والفتش فى البلاد والتجسس اياما بل اعواما فهل يجوزون ان لا يصدق النبى اعواما حتى يفتش عن وجه اعجازه ام لا واذا كان وجه معرفة الاعجاز الفتش فقد سقط التكليف عن القبول فانه يحتاج الى الفتش فى كل الارض وعند كل احد ولا كل من يعلم وجه الحيلة يخبره ويحتاج الى الفتش عن الماضين والاتين وفى ذلك سقوط التكليف واعجب من هذا انه ذكر فى الطلسم امرا وتلقاه المجلسى بالقبول وهوان الطلسمات التى ظاهرها وباطنها سواء ولا يظهر منها وجه الحيلة فعندنا هى معجزات الانبياء الماضين والاوصياء المتقدمين صلى الله عليهم اجمعين ولهذا لم يظهر طلسم بعد النبى صلى الله عليه وآله وبعد قصور ايدى الائمة انتهى اقول عد مثلكما عالمين فاضلين الطلسم معجزة ودليل نبوة مما يوهن تحقيقات العلماء ومما يزلزل اقدام الجهال ويظيل لسان الزنادقة الضلال ويوهن لهم رواياتكم وروايات امثالكم للمعجزات فلعل الرواة اغتروا وجهلوا مثلكم ولعمري لولا اصل عندنا لاحتمل فى جميع الامور احتمالات لا تحصى وخفاء امر الطلسم عليكم مما يزيد فى احتمال الجاهل النبى ان يكون اسباب خفية اخر عن اكثر البشر كما خفى الطلسم عليكمما وعدتموه معجزة يعرفها صاحب خارق العادة ولا يعرفها غيره الا قليل واحد بعد واحد ولعله فى اقصى اطراف الارض والطلسم علم علاجى ببخورات والبسة وامكنة وكتابات و اوضاع يتصرف الانسان بها فى القابل حتى يجذب مددا سماويا على حسب مراده فيحصل الامر كما هو ظاهرا وباطنا كما ان الاكسيرا علاجى ينقلب به النحاس فضة ظاهرا وباطنا فانى وانى ومتى يكون المعجز مما يناله ايدى البشر باصلاح فاعل او قابل وما اعجب جوابه فى رد بحث ذكره ان قيل ما انكرتم ان يكون فى الادوية ما اذا مس به ميت عاش واذا حصل فى عصا ونحوها صار حية واذا سقى حيوان تكلم واذا شربه انسان صار بليغا فاجاب ما حاصله ان كان للناس سبيل اليه لزم ان يكون الظفر به ممكنا وكانوا يعارضونه فلا يكون معجزا وان لم يمكن لزم ان يكون الظفر به معجزا الى آخر كلامه وكم من شىء يظفر به واحد ولا يظفر به غيره فلوردوه الى العلماء بهذه الامور لعلموه وحلوا عقده واستراحوا ولكنهم تكلفوا واطالوا السنة الزنادقة ولعمري هذه الاجوبة كبيت العنكبوت يمكن خرقه من كل جانب والعجب من نفوس تسكن الى هذه الاجوبة ويتخذها دينا ويقينا وقال ايضا فى الفرق بين المعجزة والشعوذة ونحوها قد فرق قوم من المسلمين بين المعجزات والمخاريق بان قال ان المعجزة لا تكون الا على يد رسول او وصى رسول عند الافاضل من اهل عصره والامثال من قومه فيعفونها عند التأمل والشعبذة تظهر على يد اطراف الناس وسقطهم وعند الضعفة من العوام والعجائز اقول كم من

شعبذة حيرت عقول فحول العقلاء والعلماء فلم يهتدوا الى كنهها واعتقدوا كونها كرامة واتخذوا صاحبها مرشدا الى ان فضحهم الله بعد حين بالجملة تحقيق هذه الامور من شأن العلماء ومن بين العلماء شأن المتكلمين ومن بين المتكلمين شأن الحكماء الربانيين والعرفاء الصمدانيين الاخذين عن الحجج الطاهرين وكتاب رب العالمين لا غير وكل من هو سواهم متكلف ويقول النبي صلى الله عليه وآله بتعليم الله عزوجل وما انا من المتكلفين وقد عرفت ان مقدرات البشر على قسمين قسم منهما باسباب عامة معروفة كالقطع بالسكين والحرق بالنار وامثال ذلك وقسم منهما باسباب خاصة يعلمها بعض البشر وينتقل من صدر الى صدر كالسيميا والسحر والريمية والهيما والليما وامثال ذلك وذلك شبيهة بالمعجزات ومنها ما لها حقيقة خارجية كالسيميا ومنها ما هو تخييل وتصرف في الحس المشترك بحيث يرى بحسه المشترك شيئا ليس في الخارج كما يصنعه المسكر الذي يسكر الابصار فيرون انه قتل واحيي وصعد الى السماء ونزل ودخل في قرعة وخرج وامثال ذلك ومنها ما هو بهر كالليما فانه بسرعة الحركات التي تبهر الاعين فيزعم انه رأى شيئا ولم يره وانه فعل شيئا ولم يفعله ومنها ما هو علاج وتهيئة اسباب وآلات ولا يرى شيئا الا بها وفيها كاللاعب بالحق فلو اخذ عنه آلاته لعجز عن اراءة الغرائب فامثال هذه الغرائب تشتبه بالمعجز والجاهل بالاسباب لا يدري هل هي باسباب مقدورة او غير مقدورة ولا يجب ان ينكشف الاسباب لكل احد وربما تبقى مشتبهة الى آخر الابد ولا يجب ان يكون اذا قدر عليه بشريا تى بمثله سائر البشر ولا يجدى ما ذكره شيئا ويأتى تحقيق الامر فى الفصل الثانى فترقب.

واما حقيقة المعجز فان يفعله صاحبه باسباب يعجز البشر عن تعاطيها كالاسباب السماوية والغيبية والنفسانية فيتصرف فى الشىء بقوة نفسه الكاملة المفارقة الكلية وباسماء الله العظيمة وقوة روح القدس فيحرك ويسكن ما يريد كما تحرك انت يدك ويدير السماوت كيف يشاء ويزلزل الارض و يخسف بها كيف يشاء فيحكم فى السماء والارض وما بينهما فتطيعه ولربما ليس له تلك النفس الكلية فلا يقدر على الكل الا انه قادر على البعض فذلك ايضا معجز ولا يجب ان يكون المعجز على حسب اقتراح القوم ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض بل على حسب ما اعطى على حسب كماله وقوته وما ظهر فيه من مثال مشية الله او على حسب المصلحة فبمحض انه ليس من اسباب بشرية يكتفى بكونه معجزا البتة والمعجز لا يكون الا لنبي او وصى نبي فانهما محل مشية الله وكرارادته بل مشية الله وامره وحكمه فكل سبب يتحرك او يسكن فى العالم فانما هو بتحريك الله اياه بهم وفى الزيارة بكم تحركت المتحركات وسكنت السواكن فللمعجزة لغيرهم ابدا ويدل على ذلك ما

روى فى تفسير الامام ابويعقوب يوسف بن زياد و على بن سيار من خبر والى سامرة و المكتوف المتهم و مروره به على الحسن بن على عليهما السلام فقال الوالى للحسن عليه السلام قدرأيت له اى للمكتوف من المعجزات ما لا يكون الا للانبياء فقال الحسن بن على عليهما السلام او للاوصياء فقال او للاوصياء الى ان قال الامام عليه السلام للوالى و انت قد كذبت كذبة لو تعمدها و كذبتها لا بتلاك الله بضرب الف سوط و سجن ثلثين سنة فى المطبق قال و ما هى يا بن رسول الله قال بزعمك انك رأيت له المعجزات ان المعجزات ليست له انما هى لنا اظهرها الله فيه ابانة لاحتنا و ايضا لجلالتنا و شرفنا و لو قلت شاهدت فيه المعجزات لم انكره عليك اليس احياء عيسى الميت معجزة أفهى للميت ام لعيسى أو ليس خلق من الطين كهينة الطير فصار طيرا باذن الله أهى للطائر او لعيسى أو ليس الذين جعلوا قرده خاسئين معجزة أفهى معجزة للقرده او لنبي ذلك الزمان فقال الوالى استغفر الله و اتوب اليه الخبر فالمعجزة للنبي و الحجج عليهم السلام و انما تظهر على بعض الصالحين كرامة من الله عليه بالحجج كما كان يظهر على مريم كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله و ظهور الكرامات على الاولياء غير منكر و انما هى معجزة دالة على امامة الامام و نبوة النبي فان الولى لا يدعى الا عبوديتهم و لا يرى تلك الكرامة الا لاجل الانتساب اليهم و لطاعتهم و اقتدائه بهم و اعتقاد امامتهم و ولايتهم فهو كرامة له و معجزة دالة لهم يظهره فى كل عصر لتجديد العهد و ليكون المشهود دليلا على الغائب الماضى و ما يظهر على المبطل على خلاف دعواه فهو ايضا معجزة امام الزمان او من ادعى مقامه اظهرها الله عليه اتماما لحجة المحق و ادحاضا لحجة المبطل كما ظهر على مسيلمة على ما نقل انه قيل له ان رسول الله صلى الله عليه و آله شافى اعور فقال انا ايضا اشافى ائتونى باعور فدعى له فعور عينه الصحيحة ايضا و سمع ان النبي صلى الله عليه و آله مسح رأس الاطفال للبركة فمسح رؤوس اطفال فصاروا كلهم اقرعين و حنك اطفالا للبركة فصاروا الكنين و امثال ذلك فان ذلك معجزة صاحب المعجز ظهر على يدي المبطل ادحاضا لحجته و اثباتا لحجة الحق كما ظهر فى تكلم الذئب مع ابي ذر.

فصل: اعلم ان لنا اصلا اصيلا نستخرج به كل مخزون و نستكشف به كل محجوب و نستعلم به كل مجهول و نستيقن به امر كل مشكوك و هو مما عرفنا الله جل و عزو من علينا به و قل من اطلع عليه من اصحابنا رضوان الله عليهم و اقل منهم من نصره فلاجل ذلك التزمنا نحن ان ننصر هذا الاصل اينما ناسب ذكره و ننصره بغاية جهدنا و عندى ان من لم يعرف هذا الاصل الاصيل لا يفوز باليقين فى شىء من امر الدنيا و الآخرة لاسيما مع فقد النبي و غيبة الولى و كثرة العدو و قلة العدد و شدة الفتن و اختفاء

العلماء وانظماس الاعلام وتراكم الشبهات وغلبة الشكوك على البريات وزيادة تعمق الناس فى الامور مع انظار غير معتدلة واهواء معوجة واغراض وامراض ومعاونة بعضهم بعضا وتشكيك بعضهم ببعض حتى انه لم يبق شىء فى آخر الزمان هذا الا وقد وقع فيه شبهات وقام فيه احتمالات وزال اليقين والعلم عن الخلق بالكلية والقى كل احد شبهته على الاخر وسفر بها السفراء وكتب بها الكتب فتراكمت وربت ونمت وازدادت حتى بلغت اعنان السماء فما لاحد الى العلم سبيل وانسد باب العلم حتى رضى العلماء الاعلام بفتح باب الظن من باب اكل الميتة وعملوا بالظن فى امور الدين فما ظنك بسائر الخلق ولعمري لو زادوا التعمق لانسد باب الظن ايضا لكثرة الاحتمالات التى قد قامت فى كل شىء وكثرة الاقوال والرد والبحث من الموافق والمخالف فمن حرم معرفة هذا الاصل غرق فى بحر الشبهات والشكوك وهذه الفتنة العمياء التى يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ومن فاز بمعرفته وصل الى مقام اليقين والراحة رحيب الصدر بارد القلب ثلج الفؤاد ووضع كل شىء فى حده ومقامه ونحن قد كتبنا فى هذا الامر كتابا مبسوطا طويل الذيل وذكرنا فيه انواع الادلة من الكتاب والسنة ودليل العقل والامثال الافاقية والانفسية وسميناه بعلم اليقين وكتفى هيهنا بالدليل العقلى ولا قوة الا بالله ولكن نذكر الدليل على نهج الحكمة لا المجادلة والموعظة.

فاعلم ان الله سبحانه احد لا يثنى قائم بنفسه لنفسه غنى عما سواه وجميع ما سواه ظهور امره ونوره و امره واحدة لانه غاية الغايات ونهاية النهايات ومطلق المطلقات وكلى الكلليات و علة العلل وسبب الاسباب فالاشياء كلها تنتهى اليه كما ينتهى الاجسام الى الجسم المطلق والاعداد الى الاحد فجميعها تفاصيل شئون ذلك الامر وجهاته وحكاة حيوثة كما يحكى السماء والارض جهات الجسم المطلق المخلوق بنفسه بالنسبة اليهما فلاجل ذلك وجب فى الحكمة ان تكون اجزاء الخلق مرتبطة فيكون المعلولات مرتبطة بعلاها والمسببات باسبابها والمعدات بمعداتنا والمشروطات بشروطها والتوابع بمتبوعاتها والادانى باعاليها والشهادات بغيوبها والظواهر ببواطنها وهكذا ولاجل ذلك تدل الخلق باتساق التدبير وانتظام الامر على وحدة الخالق القدير ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ولذهب كل اله بما خلق فوحدة امر الله جل جلاله اوجبت اتساق الخلق وانتظام الامر ووقوع الخلق على نهج الحكمة وليس الحكمة الا الارتباط والانتظام وليس الا ظهور الوحدة للواحد الغنى القديم ومن مقتضيات الوحدة والارتباط والحكمة ان يكون كل مقتضى لازم مقتضيه وكل اثر لازم مؤثره ولكل مقتضى مقتضى خاص به ولكل شىء اثر مخصوص به لان جميع الخلق اثر مشية الله القت فى هويته

مثالها فانصبغ فيها فاخرجت منها افعالها على حسب الانصباغ كما يلقي الشمس شبحها فى المرآة الخضراء فينعكس منها اخضرو فى الصفراء فينعكس منها اصفر حتى انك لن تجد شيئين فى ملك الله يتحد اثرهما فى كل جهة كما لايتحد المؤثران فى كل جهة وذلك شرط الاثنيانية فاذا كان هذا حال الشيئين المتقاربين المتشاركين فى اكثر الامور فما ظنك بالشيئين المتباينين واذا كان ذلك فى الشيئين المتباينين كذا فما ظنك بالشيئين المتضادين فاذا لاهل الحق والنور آثار و لاهل الباطل و الظلمة آثار لا تشبهان وذلك من حكمة الحكيم ومقتضى وحدة الامر الواحد وهذا معنى ان الله جل و عز لا يغرى بالباطل ولا يشبه الباطل بالحق وهذا هو حقيقة جميع ما يقال فى هذا الباب من وجوه دليل الموعظة و ادلة السياسة الظاهر و ادلة المجادلة الا ان تلك الادلة تنخدش بوحدتها وهذا الدليل لا ينخدش وهذا حال دليل الحكمة فى كل مقام فلا ينخدش فاهل الحق والباطل لا تشبهان ابدا فمتى يشتبه المتنبي بالنبي والمفتري على الله بالصادق والمتنبي المفتري كافر بالله و برسله و اوليائه فاسق فاجر ضال مضل من اعظم هياكل الشيطان اتخذه له و جارا و جحرا يتوارد عليه الشياطين فوجا بعد فوج و قلبه مربوط الشياطين وهم اهل الشر و الامرون بالانكر العاملون للقبائح و الداعون الى الفجور و الفسوق و فساد الدنيا و الاخرة قد جبلوا بسوء اختيارهم على ذلك و تعيشهم بما ذكرنا و النبي مؤمن بالله و رسله و كتبه و اوليائه معصوم مطهر هاد مهدي من اعظم هياكل التوحيد و مظهر الوحدة و الاتساق فى الامور و الانتظام و عدم اختلاف الرأى و العمل يتوارد عليه الملكة بالوحى و الالهام و قلبه منبر الملكة يصعدون عليه بالتهليل و التسبيح و الذكر و الخضوع و الخشوع وهم اهل الخير و النور الامرون بالعرف العاملون بالحسنات و الداعون الى العدل و الاحسان و ايتاء ذى القربى و الناهون عن الفحشاء و المنكر و البغى فلكل من الفريقين آثار فى الدنيا لا تشبهان الا على الذين فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا هذا فى الوضع الالهى الاولى و فى طرفى النور و الظلمة الخالصين و قد التطخ الضعفاء و المتوسطون الذين هم بين هؤلاء فحصل لطخ فى الاخيار بالاشرار و فى الاشرار بالاخيار فلو خالص الحق عن شوب الباطل لم يخف على ذى حجبى و لو خالص الباطل عن شوب الحق لم يخف على ذى حجبى ولكنهم لما امتازوا فى عالم الذر و ماتوا و نزلوا و اختلطوا و التطخوا قد شيب اهل الحق بشىء من الباطل فظهر منهم آثاره و شيب اهل الباطل بشىء من الحق فظهر منهم آثاره و ان اتفق احد من الفريقين بلاعرض متلطخ بهم اقام الشيطان من الخارج اعراضا و فى نظر الناظرين حتى يشتهب الامر و انما ذلك فتنة للذين فى قلوبهم مرض و القاسية قلوبهم و لتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة و ليرضوه و ليقترفوا ما هم مقترفون فظهر من كل طائفة آثار الفريقين آثار الخير فى اهله بالذات و آثار

الباطل فيهم بالعرض و آثار الباطل في اهله بالذات و آثار الخير فيهم بالعرض فقررت لهؤلاء المتوسطين بذلك الفتنة و التمحيص و الابتلاء و الاختبار حتى يخلص كل منهم و يظهر مكنون سره و حقيقة امره و لا يقاوم العرضى الذاتى ابدًا و

وان التحفت به فانك عار

ثوب الرياء يشف عما تحته

و الذاتى يغلب العرضى ابدًا و انما مثلهما كالراجح و الموهوم فمن ذهب الى الراجح اخذ طريق النجاة و من ذهب الى الموهومات وقع فى الهلكات و ضل من حيث لا يعلم و انما جعل الموهوم ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حى عن بينة و يكون لكل من الفريقين مستمسك يمكن له به اظهار مكنون سره فالظاهر الراجح لا يشتبه بالموهوم و لا يقاومه الموهوم مادام الانسان باقيا على الفطرة الالهية و لكن بالفطرة المبدلة قديميل الى جانب الموهوم شيئًا بعد شىء و يكثر النظر فيه حتى يثقل و يرجح و يستوضح و يبعد عن الراجح حتى يخف و يخفى فيصير عنده كالموهوم فهذه هى المصيبة العظمى و الرزية الكبرى و غاية الاشكال و الداء العضال الذى لا يقبل العلاج الا ان يشاء الله فانه صار يدعى المعاينة كما كان صاحب الراجح يدعى المعاينة و هو قول امير المؤمنين عليه السلام لاترتابوا فتشكوا فتكفروا فمن زعم ان باطلا بالذات ليس له علامات دالة على بطلانه ظاهرة بينة راجحة فقد افترى على الله و من زعم ان حقا بالذات ليس له علامات دالة على حقه ظاهرة بينة راجحة فقد كذب على الله فان الله سبحانه قد خلق كل شىء بمشيئته الكاملة و القى فى هويته مثالها فظاهر منها افعالها على حسبها مصبوغة بصبغها مشكلة بشكلها فاهل الخير لهم آثار يتبين خيرهم و طيب ذاتهم فى اقوالهم و افعالهم و احوالهم لامحالة و اهل الباطل لهم آثار يتبين بطلانهم و خبث ذاتهم فى اقوالهم و افعالهم و احوالهم لامحالة و يهتك ذاتيتهم ستر اعراضهم و تشقه و تظهر من وراء الحجاب فان عرصة الذات عرصة البقاء و الثبات و عرصة العرض عرصة الفناء و الزوال فان الثبات لازم ذاتية الذات و معناها و الفناء لازم عرضية العرض و معناها فلو فرض فرض دوام عرض و ثباته فقد فرض ذاتيته و ذلك خلاف الواقع و الذاتى محيط بجميع الاقوال و الافعال و الاحوال فى جميع الامكنة و الاوقات و القرانات ظاهر فى كلها و العرض يتعلق بوجه من الوجوه و حيث من الحيوث و ليس يحيط بجميع ما ذكر و ذلك الوجه المتعلق به العرض ايضا مشيب غير خالص مضطرب خافق غير مستقر فان ثبت قدم منه زال اخرى و ان التفت صاحبه و حفظه مرة غفل عنه و فاته اخرى بالجملة لا يكاد ان يشتبهان هذا و الداعى الى الحق بالنبوة و الامامة هو المعصوم المطهر و المعصوم المطهر من لا عرض فيه فلو كان فيه عرض و صدر منه مقتضاه لم يكن معصوما و الداعى الى خلافه بالتنبى و التولى كافر فى مقابله محروم عن

الخير فلو صدر عنه خير لم يكن ضد المعصوم وفي مقابله وكان بقدر عرضه تابعا للحق واهله فالامر فيهما اوضح من نار على علم وهما بمنزلة اليقينين البينين الواضحين ومحال ان يشتبهها فان اشتبهه النور بالظلمة والسماء بالارض والحي بالميت والظل بالحرور اشتبه امرهما اللهم الا ان يكون الناظر صاحب غرض وشريك الباطل ومن سنخه فانه ربما يشتبه عليه الامر في الاخر لا في الاول وهو العرض الذي يأتي به الشيطان من الخارج من غير التطاخم فان الله خلق لكل احد فطرة الهية بمقتضى مشيئته وفطرة معوجة بسوء اختياره ففي اول وهلة كل احد ينظر بفطرته الاولى ويعرف الحق ثم يلتفت الى اغراضه وامراضه التي هي حجاب بينه وبين الواقع فيشتبه عليه الامر وبذلك يثبت الحججة على كل احد قال الله تعالى ووجدوا بها واستيقنتها انفسهم، يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فالوضع الالهى فى خلق الخلق والزام كل شىء اثره اعظم شاهد لاهل الحق على حقهم و لاهل الباطل على باطلهم وهذا هو تسديد الله وتقريره وتأييده وشهادته على كل فريق بما هم اهله فمن مشى بهذا المصباح وصل الى الفلاح واهتدى الى الحق بالاستيضاح ومن ابتغى غير ذلك فقد ضل وغوى وهلك وتردى ووقع فى شبهات لاترفع واحتمالات لاتدفع ولعمري لايسكن على اوضاع العالم الا احد رجلين رجل قد كشف له عن حقيقة الامور فعاينها بعينه ووصل الى حاق الواقع ورجل مغرور جاهل لم يعرف اوضاع العالم وطبائع الناس وحيلهم ومكرهم و اوضاعهم و اغراضهم و اما من تبصر و عرف من ذلك شيئا ولم يصل الى مقام الكشف لا يكاد يستيقن فى شىء من امور العالم بل لا يكاد يظن ولعمري ان الناس حتى العلماء قبل زماننا هذا لقد كانوا فى غفلة من الاراء و الاهواء والشبهات والملل والمذاهب وسيرة الناس و حالاتهم و قد كانوا يمشون بصرف فطرتهم وان عرفوا بعض الاختلاف فهو الاختلافات الاسلامية و انى جائتهم كتب الارض الجديدة والاقاليم البعيدة و سفراؤهم و اراؤهم و شبهاتهم و الناس قد ترقوا فى شيطنتهم و نكرائهم و علومهم و حيلهم و مكائدهم و رأوا اشياء و جربوا اشياء و اشتبكت الاراء و شجنت الاهواء و تراكمت الفتن و اجتمعت المحن و تراكمت الظلمات من توارد الشبهات بحيث اذا اخرج الانسان يده لم يكدرها و لعمري اذا تفتن علماءنا الاصوليون بهذه الدواهي لاذعنوا ان باب الظن مسدود مسكر بحيث لا يفتح ابدا و لا نجاة لاحد من هذه الدواهي و لا يمكن الوصول الى مر الحق اليوم فى شىء من الاشياء الا باحد حبلين الاطول الامتن هو الكشف والمشاهدة وليس ذلك منال كل نائل و طعمة كل سائل و اين الثريا من يد المتناول و اما الاقصر الارتفاع فهو دليل التقرير الذى هو بصركل ضرير و منار كل ضال و عصا كل اعرج و دليل كل سالك و لعمري من لم يتمسك اليوم و ما بعده بهذا البرهان لا يصل الى حد الايقان فى شىء

من امور الاسلام والايمان ولا يدرك ذلك الا الفطن اليقظان فخذ يا مطلعاً على كتابي هذا، هذا البيان واشكر الله المنان وكن ثلج الفؤاد بارد القلب على كل حق فانه شقيق العيان وليس فوقه برهان و استعمله من التوحيد فما دونه الى ارض الخدش فما فوقه بل اقول ان هذا البرهان ليس يختص بهذا الزمان وانما هو جار في كل اوان وبه يعرف حقية جميع الانبياء والمرسلين و اوصيائهم المكرمين و مسائل دينهم المبين بل كل حق من سائر امور العالم و معرفة كل عالم و جاهل و سفيه و عاقل فانه الميزان القويم و العروة الوثقى و الصراط المستقيم فخذ ما اتيتك و كن من الشاكرين و قل الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله .

واعلم ان الحق هو الله جل جلاله و الباطل هو عدوه الشيطان و كل ما هو حق فهو من الله و الى الله و كل ما هو باطل فهو من الشيطان و الى الشيطان و الله سبحانه اصل النور و الخير و الكمال و الثبات و الدوام و اهل الاتساق و الاتحاد و التشاكل و التشابه فى الامور و الاحكام و السنة و العدل و الصدق و غير ذلك مما يدخل باب الخير و الشيطان اصل اضداد ذلك و اهل لها فما من الله و الى الله يغلب فيه ما هو من الله و الى الله من الصفات و ما من الشيطان و الى الشيطان يغلب فيه ما هو من الشيطان و الى الشيطان البتة فان الله سبحانه خلق كل احد من نور و ظلمة و وجود و ماهية و جهة من ربه و جهة من نفسه فالنور و الوجود و جهة الرب يكون اولى بصفات الله و ما من الله و الى الله لانه على طبق مشيئته التى هى مجمع صفاته و ظهوراته و الظلمة و الماهية و جهة النفس تكون اولى بصفات الشيطان و ما منه و اليه لانها على خلاف صفات الله و ظهوراته فمن كان الغالب عليه النور هو اهل النور و اهل صفاته و تظهر منه و من كان الغالب عليه الظلمة هو اهل صفاتها و تظهر منه البتة الا ترى ان الغالب عليه الصفراء يظهر منه آثار الصفراء و الغالب عليه البلغم يظهر عليه آثار البلغم البتة فان الطبيعى لا يتخلف و على فرض ان يتطبع البلغم من الصفراويين فى جهة لا يغلب عليه البلغم و لا آثاره و لا يقدر على تلك الاثار فى كل آن و مكان و كل جهة البتة و على فرض ان يتطبع الصفراء من البلغميين فى جهة لا يقدر على ادامة آثارها و،

وان التحفت به فانك عارى

ثوب الرياء يشف عما تحته

فلا يقدر اهل الباطل على التشبه باهل الحق فى جميع امورهم ابدأ ابدأ و لا بد و ان يظهر من اهل الباطل صفات البطلان و ان يتبين على اهل الحق صفات الحق و كل من ادام صفات الحق فهو الذى ينجو المقتدى به فى صفاته و لا غرض بعد ذلك و انا لانريد من مقتدى الحق الا ان يظهر منه صفات يهتدى بها الانسان و يقتدى به فيها فانى و متى يمكن اهل الباطل ان يصلحوا جميع ظاهرهم حتى

لا يظهر عليه آثار البطلان و كذب تلك الاثار الاخر التي تطبع و تكلف و انى امثل لك مثالا فى متنبى يتنبأ مثلاً فلما كان باطلا و جب ان يظهر عليه آثار البطلان و هو قولنا يجب ان يبطل الله امره و يظهر خافى سره فلعلك اذا فتشت عنه وجدته لغية مثلاً فيكفى فى بطلانه ثم يتركه الله و شأنه فلعله يظهر على يديه خوارق عادات فان لم يكن لغية فلعلك تعرفه بانه ولد حيض مثلاً و كفى به و ان لم يكن كذا فلعلك تعرفه قبل تنبيه مبتليا بمعاص قبيحة و كبائر موبقة و كان به ابنة مثلاً او كان ملوطاً و كفى به عيباً فان لم يكن كذا فلعل به عاهات منفرة و ان لم تكن فلعل به اخلاق دقيقة منكرة و فظاظة و فحش و بذاء و ان لم تكن فلعله يعرف منه اثار الباطل و اهله على الحق و اهله و ان لم يكن فلعلك ترى فيه حب الدنيا و اثارها و قلة الاعتناء بالدين و ان لم يكن فلعلك تجده داعياً الى الشرك او واصفاً ربه بغير صفته التي عليه اجماع العقلاء و ان لم يكن فلعلك تجده منكراً لبعض الانبياء و كتبهم و ان لم يكن فلعلك تجده يدعو الى ولاية بعض الكفرة و يمدحهم و ان لم يكن ذاك فلعله يعرف منه المكر و الحيلة و ان لم يكن كذا فلعلك تراه ذا نزق و خرق و سفه و خفة و امثال ذلك و ان لم يكن فلعلك تجده ذا سهو كثير و خطأ و غفلة كثيرة و ان لم يكن به ذلك فلعله غير مؤتمربما يأمر و غير منته عما ينهى و معتذر باعذار غير موجهة و ان لم يكن كذلك فلعلك تجده جملة على غير سيرة الانبياء و سنتهم له اشر او بطر او فخر او عجب كثير منكرو ان لم يكن كذا فلعله ليس له وقار و متانة و رزانة او حلم و علم او ذكر و فكر او نباهة و نزاهة او حكمة و امثال ذلك بالجملة الباطل الكافر الفاسق الفاجر لا يخلو من شىء من ذلك و امثالها و لا يقدر على حفظ نفسه عن نفاق و مكرفى جميع الجهات و من اصلح جميع جهاته هو الصالح الباطن و لا يمكن ان يتم صورة بدن على صفة صورة الانسان و لا يتعلق به روح الانسان بل يتعلق به روح حيوان من الحيوانات فان الاعمال و الصور جوازب للارواح المناسبة لها و الارواح تظهر فى صور مناسبة لها و بذلك جرى تقدير العزيز العليم و المتنبى كافر باشد الكفر فاسق فاجر ساقط منفصل عن المبدء من حيث الروح بهيمة من البهائم و على غير صفة مشية الله و لا يظهر روحه الا فى بدن و اعمال و اقوال و صفات و احوال مناسبة لها البتة ففرض كون باطل صالح العمل و الصفة من جميع الجهات فرض باطل غير واقع و غير ممكن و قد اخبر الله بذلك فى كتابه حيث قال قل هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثم يلقون السمع و اكثرهم كاذبون و الشعراء يتبعهم الغاؤون الم تر انهم فى كل واد يهيمون و انهم يقولون ما لا يفعلون و على فرض ان لا يظهر منه عيب فى جهة من الجهات لا يمكن ان يظهر على يديه خارق عادة على نحو لا ينكشف كونه حيلة و شعوذة او باسباب مقدورة لسائر افراد الانسان البتة و هو الذى اخبر الله به فى كتابه ما جئتم به السحران الله سيطله ان الله

لا يصلح عمل المفسدين وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولما كان هذه الايات موافقة للعقل السليم استدللنا بها مع كون وضع الكتاب فى اثبات اعجاز القرآن وقد ذكرنا آيا كثيرة فى كتابنا علم اليقين و ان شئت فراجع.

فتبين وظهر لمن نظر و ابصر ان شهادة الله اكبر الشهادات و تسديده و تقريره اعظم الدلالات على حقية الناس المحققين و ليس ذلك يختص بالانبياء و الاولياء بل يعم ساير النقباء و النجباء و الحكماء و العرفاء و العلماء و ساير المؤمنين فيما يدعون و ساير الروايات و الديانات و ساير امور العالم فان كل موافق للواقع حق متصل بمشية الله و كل مخالف للواقع باطل منقطع عن مشية الله و لكل علامة و خواص و آثار الا ان فى غير الانبياء و الاولياء و اعدائهم يراعى جهة الراجح و الغالب لخلطهم و لطخهم و عدم كونهم نورا لا ظلمة فيه و خالصين عن الاعراض و ذلك ايضا لا ينافى ادعاءهم فانهم لا يدعون العصمة نعم ان ادعوا العصمة فيكون وجود المخالف فيهم و لو قليلا مضرا بدعواهم و اما اذا ادعوا العلم او الحكمة او العرفان او النجابة او النقابة ففى كل واحد على حسب درجاتهم يراعى الراجح مثلا اذا ادعى رجل انه نحوى فعلامته العلم بالنحو نوعا و لا يضر جهله بمسألة او قول فانه ليس ينافى دعواه و اما اذا ادعى علما لا جهل فيه فيكذبه جهله بادنئ مسألة فافهم و اختبر كل واحد بآثار ما يدعيه فلا تكذب النحوى بفسقه فانه ما ادعى العدالة و لا تكذب المدعى للعدالة بجهله بعلم النحو فانه ما ادعى النحو و كذلك لا تكذب العارف بجهله بالنجوم و لا تكذب المنجم بجهله بالفقه و هكذا و اما مدعى النجابة فاختره بالعلم و العمل و معرفة حقائق الاشياء و العدالة و التقوى و الزهد و الفكر و الذكر و العلم و الحلم و النباهة و النزاهة و الحكمة و علمه بجميع ما يحتاج به فى الدين او يؤل الى الدين و يتوقف عليه معرفة حقائق الديانات و امثال ذلك فان لم يكن فيه شىء من ذلك و ادعى النجابة فكذبه. و اعرف النقباء مزيدا على ما مر بنفاذ الحكم و الامر و علمهم بالاسماء العظيمة الفاعلة فى الكون. و اما ما سول الصوفية الفسقة الكفرة تمويها على مرديهم من ان الناقص لا يكون ميزان الكامل و لا يجوز ان يزنه بعقله بل الكامل هو الميزان فذلك لاجل انهم ارادوا ان يعملوا بكل فسوق و فجور ساكنى القلب و لا يعترض عليهم المرید فيعملون بكل فسوق فاذا اعترض عليهم المرید يقولون انت ناقص و نحن كاملون و الناقص لا يجوز ان يزن الكامل بميزانه حتى انه قال بعضهم لو ان المرید رأى المرشد جالسا فى محراب المسجد الجامع يشرب الخمر لا يجوز عليه ان يعترض عليه و يجب عليه التسليم و اراد اللعين ان يفسق بكل فسق ساكن القلب مطمئنا و لا يعترض عليه احد و لا ينقصوا من تولاه و ذلك كلام باطل و عن طريق الاسلام خارج و الحق ان من الامور ما هو بديهي عند جميع

العقلاء انه حسن او قبيح فيجب ان يوزن به كل مدع سواء كان نبيا او وليا و الا لاتسع الخرق ولا يبقى علامة للحق و الباطل و يسع كل فاجران يدعى الالهوية و بعد ما عرفنا النبي بضروريات العقلاء صار هو ميزان حق و وزن به كل من يدعى الامامة و الوصاية فان طابق ما صح عن النبي فهو حق و الا فهو باطل و بعد ما عرفنا الامام صار هو ايضا ميزانا يوزن به من يدعى الكمال من المتشيعين و ادعى النقابة او النجابة او الارشاد او العلم و الحكمة او العدالة و الايمان فان طابق النبي و الامام و ما ثبت و صح عنهما باجماع او ضرورة او دليل قطعى فهو الحق و الا فهو الباطل نعم ليس عقل الناقص بوحدته حجة و ميزانا و اما النبي و الامام و ضرورة العقلاء فهو ميزان و حجة قاطعة لاترد نعم يكون بين العقلاء اشياء مختلف فيها ليست هي ميزانا اذا خالف المدعى بعضا و وافق بعضا و اتى بما اختاره بدليل بين و حجة متبعة و يكون فى سنة النبي و الامام اشياء مختلف فيها فليست هي ايضا ميزانا اذا خالف المدعى بعضا و وافق بعضا اذا اتى بما اختاره المدعى بدليل واضح فاذا وجدت المرشد يشرب الخمر و يعشق المردان فدق رأسه و اوجع ظهره و لا كرامة فانه ان كان يدعى الاسلام فذلك خلاف ضرورة ملة الاسلام و هو فاسق و ان كان مستحلا فهو كافر و ان كان يدعى غير الاسلام فهو كافر فكيف يكون مرشدا و لم يصير الناقص ميزانا و انما صار اكمل الكاملين ميزانا و هو النبي و الولي صلى الله عليهما و آلهما فتبين فساد رأيهم و ضلالة طريقهم لكل من انصف و ما ذكرناه فى المقدمة كاف لما نحن فى صدد بيانه و عزمنا على شرحه و لا قوة الا بالله العلى العظيم.

فصل: اعلم اولاً ان من يريد ان يعرف موضوعا خاصا يجب ان يعرف اولاً صفة الكلى الذى يحتمل او يظن ان ذلك الموضوع احد افراده ثم اذا حققه و عرفه على نحو الكلية حق المعرفة يبحث عن ذلك الموضوع هل هو من افراد ذلك الكلى ام لا فمن لم يعرف حقيقة السراج على نحو الكلية مثلا لا يجوز ان يبحث عن الفرد الخاص هل هو سراج ام لا و من لا يعرف الفيل مثلا على نحو كلى كيف يجوز ان يبحث عن الحيوان المرئى هل هو فيل ام لا و يرد و يعترض و يجادل بلاطائل و اغلب طول المباحثات من غير طائل و طول المنازعات لانهم لم يحققوا الكلى و لعلمهم مختلفون فى معرفة الكلى و نزاعهم فى الكلى و هم غافلون عنه و هو سبب نزاعهم فى الجزئى و ذلك باب عظيم غفل عنه كثير من الناس و لذلك طال جدالهم بلم و لانسلم و قد حوا و ردوا و اعترضوا و اجابوا من غير ان يعرفوا معنى حقيقة الكلى فتنبه انت يا هذا و قدم امام كل بحث معرفة الكلى ثم باحث عن الفرد الخاص فالواجب هيئنا ان تعرف ان النبي اى معنى هو و اى نوع من الانواع يسمى بالنبي فاذا عرفت النبي فتفكر فى الرجل الخاص هل هو من افراد ذلك النوع ام لا حتى يسهل عليك الخطب فاقول الواجب ان يكون النبي اولاً

انسانا بشرا فان من دون البشر ظاهرا حيوان و نبات و جماد و هى مسخرة للانسان مخلوقة لمنافع الانسان و رزقه و حمل اثقاله عديمة الشعور و الادراك للكليات و عواقب الامور و ابعد عن المبدء من الانسان و لا يجوز ان يستحق نزول الوحي عليه و السفارة بين الانسان و الرب الاحد القديم جل جلاله و ليست صورها و جبلتها سالحة لهذا المقام و ذلك بديهي و الانسان فيه جمادية كاملة و نباتية كاملة و حيوانية كاملة اكمل مما لها و اقرب الى المبدء منها و اشبه بالمشية منها و انسانية مزيدا عليها كما هو بين و الله الاحد الواحد الحكيم يجرى افعاله على نهج الحكمة و الصواب كما قدمنا فى المقدمة و اما الجن و الملك فهم غيب من الانسان لا يرون الا اذا تجسموا و صاروا كالبشر و غلطوا فهم مع كونهم ادنى من الانسان و عدم كونهم كلمة تامة حاملة لسر التوحيد الجامع و كونهم اطرافا للخلق و كلمات ناقصة و ابعد عن المبدء منه اذا غلطوا و صاروا كالبشر لا يعرف انهم بشر او غير بشر و ان عرفوا لا يعلم ان ما يأتون به من المعجز هل هو من مقدرات نوعهم ام من خواص من صار نبيا منهم و قد اخبر الله فى كتابه بهذا المعنى و لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا و لبسنا عليهم ما يلبسون هذا و الحكمة اقتضت ان يكونوا روحانيين مخفيين عن البشر لا يراهم الانسان الا بمشاعره الباطنة فوجب فى الحكمه ان يكون النبى بشرا كلمة تامة يصلح للبعثة على الانسان و سائر الكلمات التامة بالقوة القريبة اذ لم يخلق الله خلقا اشرف و لا اجمع من الانسان كما هو معلوم عند الحكماء فهو فرد من افراد الانسان فاذا صار من افراد الانسان يجب ان يكون كسائر افراد الانسان فى الخواص النوعية ياكل و يشرب و ينام و يستيقظ و ينكح و يلد و يولد و يحيى و يعيش و يموت كسائر افراد البشر فى الخواص النوعية المشتركة بينها و لا يجب بل لا يجوز ان يكون فيه خواص كل الافراد فيلزم التناقض فيكون جاهلا فاسقا كافرا غيبا و عاجزا و مجنوننا و امثال ذلك فما استدلل علينا منكروا الفضائل ان النبى قال انا بشر مثلكم فيجب ان يكون جاهلا و عاجزا و ساهيا حتى يكون كالبشر فذلك سفه من الرأى و خطأ محض و نصب صرف و اخمد لنور الله و كتمان لفضائل اولياء الله و انما البشر له خصال نوعية مشتركة بين جميع الافراد و هى الواجبة ان تكون فى النبى و الولى و اما الخصال الخاصة فالواجب ان يكون فيه افضل خصالهم و اشرف صفاتهم فان كان فرد عالما و فرد جاهلا فهو كالفرد العالم و ان كان فرد ظالما و فرد عادلا فهو كالفرد العادل و ان كان فرد بخيلا و فرد جوادا فهو كالفرد الجواد و ان كان فرد ذاكرا و فرد ناسيا فهو كالفرد الذكور و هكذا و يجب ان يكون هو افضل افراد امته و اكملهم فيما يدعى لهم و بعث به حتى يكون حجة عليهم و يكون بينهم و بين الله يستحق من كل جهة بعث به نزول الفيض اليه اولاً ثم ينزل منه الى رعيته فانه السفير فى تلك الجهة فلا يضر جهل النبى بشىء لا يدعيه و لم يبعث به كقول النبى صلى

الله عليه وآله ان ادري ما يفعل بى ولا بكم وكقوله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك فلا يضر جهل سليمان مثلا بموضع الهدهد فانه لم يدع علم ما كان وما يكون اذا ثبت انه لم يدرو واقعا وليس كل سؤال دليل الجهل فان الله يقول ما تلك يمينك يا موسى ويقول ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين والافوق بالقواعد الحكيمة ان لا يجهل شيئا يعلمه رعيته وكذا لا يضر جهل نبينا صلى الله عليه وآله بحرف من حروف الاسم الاعظم مثلا لانه لم يدع تسوية علمه مع علم الله والله اعلم منه يقينا ومقتضى العلم ان يكون عند الاعلم ما ليس عند غير الاعلم البتة ولا يضر به حاجته الى الله فانه لم يدع الغناء عن الله جل جلاله وهكذا علم البداء هذا اذا ثبت انه جاهل واقعا بحرف من حروف الاسم الاعظم بعلم البداء ولا يكون له تأويل فان الثابت فى الحكمة وضرورة الاسلام انه اشرف من جميع ماسوى ذات الاحد جل جلاله فاذا كان كذلك فماسوى الله اما ذاته الشريفة او دون ذاتها فلا يعقل جهله بذاته ولا بما دونها فالواجب تأويل ما ورد من امثال ذلك وتخصيصه بمقام من مقاماتهم الدانية لا اعلى مقاماتهم فتدبر وانصف بالجملة ولتحقيقه مقام غير هذا المقام والكلى الثابت بالحكمة انه يجب ان يكون النبى افضل رعيته من كل جهة بعث به حتى يكون سفيرا بينهم وبين ربهم وحجة عليهم لان النبى من ينبى عن الله وما لم يكن مضمحلا متلاشيا فى جنب الله مطيعا منقادا لمشيته لا يشف عنها ولا ينبى عنها ولو كان على صفة رعيته ومثلهم لكان محجوبا عن مشية الله مثلهم ولا يقدر على الانباء عنها حتى انه لو خالف مشية الله فى جهة واحدة لا يقدر على الانباء عنها فى تلك الجهة ويكون محجوبا عنها فى تلك الجهة فان كان مبعوثا على جميع ماسوى الله من كل جهة فيجب ان يكون افضل من كلهم فى كل جهة والافعلى حسب بعثته ولما كان النبوة صفة باطنية ليست من الخصال الظاهرة المحسوسة بالحواس الظاهرة ومقام سفارة بين الله وبين خلقه ووساطة ومقام قرب بمشية الله وجب ان يكون حامل مشية الله ومحلها وان يكون صاحب صفات الهيئة واسماء ربانية وآيات صمدانية لا يقدر عليها احد من البشر حتى يعلم انه سفيرات من عند الله جل وعزوه وغير سائر افراد البشر فوجب ان يجرى على يديه معجزة او معجزات لا يقدر عليها احد من البشر ولا يكون فيه صفة عسى ان يكرهها احد ويعيب عليه عاقل مما قدمنا وما يشاكله ولما كان من نوع الشر لا بد وان يجرى عليه الحوادث والموت فينجرح وينكسر ويمرض ويصح ويموت فانها حالات قهرية تجرى على الجسم بحوادث الليل والنهار ولا غضاضة فى امرء منها وهذا النبى رجل من ولد آدم عليه السلام كسائر اولاده نوعا ويكون فى بلد من البلاد ويبعث بالامر فى بلد من البلاد فيظهر امره فى ذلك البلد فى ذلك المجمع المعين فيسمع بامرهم اهل ذلك المجمع وكل الدنيا عنه غافلون ثم ينتشر شيئا فشيئا

فى ذلك البلد ثم ينتشر بعد زمان حول ذلك البلد مما يقرب منه و يؤمن به واحد بعد واحد و من الناس سريع الفهم و منهم بطىء الفهم و منهم كثير العرض و منهم قليل العرض و منهم من يؤمن به و منهم من لا يؤمن به ابدا لشقائه ثم ينتشر امره شيئا بعد شىء فى بلد بعد بلد و يؤمن به من كل بلد واحد بعد واحد و يعاينه من معه و سائر الناس يسمعون خبره و لا يرونه الا من يسافر اليه و هذا عادة امر الدنيا و عادة اهلها و لا يكون النبى جميع اموره على خلاف العادة و لا يغير وضع حكمة العالم الا بقدر الحاجة و بقدر اقامة الحججة مما لا ينافى الحكمة فلا يجيب ابدا الى كل ما يقترحه الجهال فلا يجيب اذا قال له رجل ان كنت صادقا فاجعل البر بحرا و البحر ييسا او خرب السماوات او ازل الشمس و القمر و النجوم عن مجاريها او افن النبات عن العالم او امت كل الحيوانات او احى كل الاموات و امثال ذلك من ما يخالف المصالح العامة و ليس من الحكمة اجابة الجهال فيما يقولون فان الله خلق العالم لحكمة و خلقه هكذا لحكمة و جعل عاداته فيه كذا لحكمة فلا يجوز خلافها الا بقدر الضرورة و اقامة الحججة و يكفى خرق العادة فى حصة واحدة بانطاقها والله شهيد على ما يعملون و لا يجب ان يفعل له لكل احد بل يكفى ان يفعل عند جماعة ثم يصل الامر الى الباقي بالشيء و التواتر و اخبار العدل الموجب للقطع العادى فان الغرض حصول القطع و هو حاصل فليس يجب اجابة كل احد فى خرق العادة و يكرر ذلك لكل واحد واحد من افراد البشر فان تغيير عادة الله لا ينبغي الا عند الحاجة و بقدرها و ترتفع الحاجة بعد الشىء و اخبار العدول و التواتر فلا حاجة الى التكرير و كذلك فى الابلاغ الى الاعصار فان حصل القطع لاهل عصر او بلد فى زمان بالتواتر و الضرورة و اخبار الثقات فهو لا حاجة الى شىء زائد و الا و جب على الوصى ان يجدد الحججة حتى يحصل القطع و يرتفع العذر و ان تكرر عن نبى او وصى معجزة فلا بد و ان لا تكون على خلاف الحكمة و يكون فيها حكمة مجوزة و الا فلا حاجة الى التكرير الا ان لا يمكن حصول القطع للطالب الا بها فحينئذ يجب . و يجب ايضا ان يكون اعلم اهل زمانه بالله و بكتبه و رسله و شرائعه و اليوم الاخر و حقائق الاشياء و افضلهم و اتقاهم و اورعهم و ازهدهم و اشجعهم و اقواهم و اسخاهم و اكملهم فى جميع الخصال فان نوعه فوق نوع الرعية و كما يكون الانسان فوق جميع الحيوانات من جميع الجهات و يكون الحيوان فوق النبات من جميع الجهات يكون نوع النبى فوق نوع الرعية نعم قد يكون نبات اقوى من نباتية الحيوان من حيث الجثة لا اللطافة و صلوح تعلق الحياة و كذا قد يكون حيوان اقوى من انسان من حيث النباتية الكثيفة و الحيوانية و من حيث الجثة لا اللطافة و صلوح تعلق روح الانسان به فهذه ليست دليل افضلية الادنى اذا كان مع ما هو عليه غير قابل لروح الاعلى فكذلك قد يكون انسان اقوى و اكبر من حيث الجثة و من حيث النباتية و الحيوانية و

الانسانية من النبى لكن هو على ما هو عليه كثيف غليظ غير معتدل و غير صالح لروح النبوة فذلك غير ضائر ولا يدل على افضلية انسان فى جهة عن النبى صلى الله عليه فان كان حلم روبيل مثلا اكثر من يونس فلا يدل ذلك على افضلية روبيل ولو من تلك الجهة فلاكل حلم من قوة الاختيار وان علم النملة ما لم يعلم سليمان فلم يدل على افضلية النملة من تلك الجهة فان هو الا ككون شجرة الدلب اكبر من الذئب و النخلة اكبر من النملة فهذا الكبر لا يجدى شيئا البتة فانه زيادة فى اجزاء كثيفة غير قابلة لروح الحيوة و النملة اشرف من النخلة كائنة ما كانت كما ان ارزة ماس اشرف من جبل ابى قبيس الف الف مرة فكذلك اكبرية بعض الانسان واقوائيته عن النبى و لوفى العاديات الانسانية ليست تدل على اشرفيته فافهم فانه دقيق لطيف شريف فالنبى لاجل كونه صاحب روح النبوة التى ليست لاحد من الرعية يكون جميع ما له اشرف و الطف و اكمل و اقوى من جميع من ليس بنبى اذ بها استحق روح النبوة و نفخت بها.

فصل: اعلم ان حقيقة المعجز ايضا فى الظاهر فعل يصدر من النبى او الوصى لا من حيث جماديته و لا من حيث نباتيته و لا من حيث حيوانيته و لا من حيث انسانيته بل هو آثار روح النبوة التى فيه و هى مثال مشية الله الملقى فى هويته فيظهر منها اثاره و تلك الاثار آثار فوق هيمنة الجمادات و النباتات و الحيوانات و الاناسى و هى تعجز عنها البتة كما يعجز النبات عن فعل الحيوان و الحيوان عن فعل الانسان فكذلك الانسان يعجز عن فعل النبى فانه فوق هيمنته و روح النبوة روح مكونة بكسر الواو و على لها قوة على التكوين و التغيير و لها مقام الاسمية التشريعية و الوصفية لله سبحانه حاملة لمشية الله و محلها مضمحلة متلاشية فى جنبها و بذلك تحكيها و تؤدى عنها و تبلغ عنها و تشرح مرادها و وجب على من احتجب بنفسه عنها ان يسمع لها و يطيعها و يأخذ عنها و يتصل بها حتى يتصل بما اتصلت بها كما يجب على الاعضاء المحجوبة عن الروح الملكوتية غير المطلعة على مرادها ان تسمع للروح البخارية المضمحلة فى جنب الروح الملكوتية و تطيعها و تتصل بها و تدخذ عنها و الا لتكون ميتة لا حراك لها و تنبىء الروح البخارية عن الروح الملكوتية و تشرح مرادها و تؤدى عنها قد القت الروح الملكوتية مثالها فيها و اظهرت عنها افعالها و افعالها فوق هيمنة الاعضاء و تعجز الاعضاء عن فعلها البتة و كذلك يعجز سائر افراد الانسان عن فعل روح النبوة و جميع افعالها معجزة بالنسبة اليهم اللهم الا افعال تصدر عن النبى من حيث جماديته و نباتيته و حيوانيته و انسانيته فى الظاهر و الا فى الحقيقة جميع افعاله على غير معنى افعال الرعية و يعجز الرعية عنها فان جماديته و نباتيته و حيوانيته و انسانيته اعدل من جميع الرعية فهو و ان اكل و شرب يكون اكله و شربه على غير معنى اكل

الرعية وشربهم ويعجزون عن الاكل بذلك المعنى وعن الشرب بذلك المعنى فى الحقيقة الا تدررون ان النبى مخلص فى الله لا يشرك به شيئا ولا يفعل فعلا الا بامر الله كما امر الله وذلك مما يعجز عنه الرعية فالنبى جميع افعاله واقواله واحواله معجزة حقيقة وان كان بعض افعاله فى الصورة كفعل الرعية وبعضها على خلاف صورة فعل الرعية واهل الظاهر يعدون الاخير معجزا دون الاول وعند العارف بشأنهم جميع افعالهم معجزة باهرة فالنبى وان قال اسقنى ماء وقال غيره كذلك الا ان قول النبى واقع موقعا يعجز عنه جميع الرعية فافهم ان كنت تفهم الا ان الذى يعده اهل الظاهر معجزا ما يخالف افعالهم ظاهرا فبذلك نقول ان ما قصده النبى من قوله كل ماء طاهر مثلا لا يبلغه عقل احد من الرعية وواقع موقعا لا يبلغه عقول الرجال فهو معجز كائنا ما كان بالجملة المعجز باسباب تكوينية ايجادية لا باسباب علاجية والاسباب التكوينية اسماء الله العظيمة الكبيرة وهى نفسه الشريفة يفعل بالله ما يشاء كما يفعل الله به ما يشاء فروح النبوة مثال مشية الله وشعاعها ونورها وهى منها كالمصدر الحاصل من الفعل كالضرب من ضرب فهو تأكيدها ولذلك قيل قولك ضرب ضربا فى قوة قولك ضرب ضرب فهو الفعل التاكيدى الظلى ولذا يعمل عمله وكذلك روح النبوة هى المشية التاكيدية الظلية تعمل عملها وتقوم مقامها وهى الامر المفعولى المشار اليه بقوله تعالى وكان امر الله مفعولا وفى الحديث نحن امره وحكمه اذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريد وهى من حيث الدلالة على الله جل وعز اسم الله يفعل الله به ما يشاء فيما هو مهيمن عليه مما دونه فلما ظهر فى عالم التشريع كان نبيا يظهر على يديه بقوة كونه اسما لله ما يشاء.

الباب الاول

اذا عرفت ما تمهد من ذكر المقدمة والكليات اعلم انه لاشك ولاريب ان محمد بن عبد الله وابن آمنة صلى الله عليه وآله المولود بمكة من بنى هاشم قد نشأ فيها الى اربعين سنة وكان معروفا مشهورا حسبا ونسبا وسيرة و اخلاقا ثم ادعى النبوة وابدى صفحته باظهار الرسالة الى القوم فاضطلع باعباء الرسالة علانية وادعى انه ليس ببدع من الرسل وانه افضلهم وخاتمهم وانتهى اليه علم جميع الرسل والكتب فقام بين ظهرانى العرب وبين يدي الله سبحانه ودعا الناس الى توحيد الله وخلع الانداد و شرع للناس شرائع واحكاما ونسخ جميع الشرائع والكتب السابقة مصدقا بانها ورسلاها وغيرهم من الرسل حق وسلك مثل ما يسلك افضل نبى فى امته بحيث لو وصف عاقل حكيم نبيا حقا كاملا لما تجاوز صفته ولو فتشت عن حال الانبياء السالفين لما كانوا بافضل منه ولم يقدر احد على عائبه فيه من نسبه وحسبه و اخلاقه واقواله و افعاله الا اللمازون والمستهزئون ومن لا يعبأ بقوله ممن لا يبالي ما

يقول ولا ما يقال فيه فانه لا يسلم من شرهم حق ولا باطل ولم يعب عليه عاقل بشيء واعجب من ذلك ما عاب عليه اليوم بعض المنافقين المظهريين للاسلام المرتدين عن المذهب باطنا وظاهرا من غير اقرار بالارتداد ان النبي كان سارقا قاطع طريق فياويله من كافر ما جهله هو قد جاء بان من لم يدخل في دينه كافر يجب قتله وماله حلال ودمه هدر وزوجته وصيفة يحل سبيها وفرجها واولاده كلهم عبيد واماء فاذا قطع سبيلا عليهم واخذ اموالهم اى مغمض عليه واى عيب هو يقاتل جهارا ويسبى عيانا فاذا بعث على قافلة واخذت ينكر عليه اموالهم اكثر حرمة ام دماءهم و عيالهم وفروجهم نحن نستحل دماءهم فكيف لانستحل اموالهم نستعيد بالله من بوار العقل وقبح الزلل وخذلان الله وتوكيله العبد الى نفسه فمن البديهييات انه لم يعب عليه احد بشيء ولم ينكر عليه احد نسبا ولا حسبا ولا خلقا ولا عملا كان اعلم الناس بما يقول وازجرهم عما ينهى وازهدهم فى الدنيا واخضعهم و اشدهم تواضعا و كان بحيث ان وصفى عليه ومدحى له قبيح فكان هو هو كما كان ومعروف جميع ما يتعلق به مضبوط وكليات محاسنه ومكارمه من البديهييات والمتواترات كوجود صين و هند عند من لم يرهما وقد ثبت اموره بما يثبت به امر كل نبى من آدم الى الخاتم وامر كل غائب عن الحس وهو بعين الله وامام وجه الله وبين يديه فادعى بين يدي الله وامام وجه الله انه آت من عند الله وهو رسول من الله وما ينطق الا بوحى وانه اكرم الخلق على الله واشبههم بصفات الله وافضل رسل الله فقتل عباد الله وسبى اماء الله ونسخ شرائع الله ودعا الى الله وحكم فى عباد الله وفى فروجهم و اموالهم و دمائهم فقرره الله و صدقه و سكت عن رده بل اجرى على يديه ولسانه بعض خوارق العادات فان صدور نوع خوارق العادات منه من المتواترات البديهية القطعية وقد صدر منه ومن اوصيائه احياء و امواتا خوارق عادات و روى عنهم ما لا يحصى و صدور النوع مما حصل القطع به وقامت به الضرورة وان لم يثبت فردا و رويت عنهم ما يتجاوز الاحصاء من خوارق العادات ولم يكذبها الله ولم يردها بل صدقها و قررها نوعا و كلها بعين الله وامام وجه الله فلم ينكر الله عليه بوجه من الوجوه و حيث من الحيث فهذا هو تسديد الله و تقريره و تصديقه ليس فوجه تصديق لاحد من الانبياء و الاولياء و اى تصديق اعظم من ذلك فى الدنيا فنفس هذا التصديق هو حجتنا على انه نبى حق صدق عدل و اى باطل و زور يسقط نوره هكذا فى العالم من غير تكبير و ليس من النكير عدم ايمان الكفرة به لاجل العناد او عدم اعتناء به و لا يدحض بذلك حجة نبى ابداء و ليس من شرائط صدق النبوة و تصديق الله لصاحبها ايمان جميع اهل الارض به و ما ذكره من الاحتمالات كلها احتمالات ارضية و هذا البرهان برهان سماوى لا يتطرق فيه شيء من تلك الاحتمالات و من لم يكن من الله و الى الله كان كافرا مشركا ضالا قرين الشياطين

بعيدا من الملائكة الروحانيين و كان فاسقا فاجرا طالبا للرياسة و العزة الدنياوية و من كان كذلك كان منه امداد الخير و النور و الكمال و الاتساق و البهاء و الجمال و الجلال منقطعة و لا يكون هكذا و اهل الباطل لا يقدرين على امساك انفسهم يوما واحدا و هم اصحاب خرق و نزق و اشرو بطر و بذاء و فحش و كثافة و قذارة و رجس و كبائر و افك فانى و متى و من اين الى اين و الى هذا اشار الله بقوله قل هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثم يلغون السمع و اكثرهم كاذبون و الشعراء يتبعهم الغاؤون الم تر انهم في كل واد يهيمون و انهم يقولون ما لا يفعلون و قال ان الله لا يصلح عمل المفسدين و قال ان الله لا يهدي القوم الكافرين و الظالمين و الفاسقين و هي آيات موافقة للبراهين العقلية و كذا غيرها من آي كثيرة قد سردناها في كتابنا علم اليقين كلها براهين عقلية صحيحة فان الساقط المنقطع عن الله لا يتصف بصفات الله من القوام و الدوام و الاتساق و الصدق و بالخضوع و الخشوع و البكاء و التذلل و التبتل و السهر و الجوع و الجهاد في سبيل الله مع ذلك الزهد و الوقار و العزو و الانتظام و الجد و اهل الباطل اهل هزل و لعب و تشاجر و تنازع و اختلاف و اختلال و من ذا رأى في الدنيا باطلا بصفة اهل الحق ابدا ابدا كل ذلك شبهات غير جارية و غير واقعة و ساحة الحق عنها منزهة فنحن ان استدللنا بعدم نكير عليه فمرادنا عدم نكير الله القادر الشاهد القاهر المتعال لا عدم نكير الخلق حتى يقال جهلوا او غفلوا او خافوا او فعلوا او غير ذلك من الاحتمالات فهو المصدق من كل جهة فيما ادعى و لم يعجزه احد و لم يكذبهُ احد اى لم يأت بما يظهر كذبه ابدا فهو نبى صدق حق مطلق صلى الله عليه و آله و سلم آمننا به و لم نره و اسلمنا معه و لم نشاهده صدقا و عدلا فاكتبنا اللهم من الشاهدين و الحمد لله رب العالمين.

الباب الثانى

و مما جاء به صلوات الله و سلامه عليه القرآن المجيد و الفرقان الحميد فقام بين ظهرانى القوم و اتى بمعزجات باهرات و خوارق عادات و رأوا عليه قبل بعثته ايضا خوارق عادات كثيرة و اتى بالقرآن بعد ان عادت الامم في الجاهلية و اشركوا بالله عزوجل و نسوا سنن الانبياء و اتخذوا الاصنام آلهة و من كان ينتحل منهم ديننا و كتبا فغيروا و بدلوا حتى لم يبق من آثار الحق في ايديهم الا شىء قليل فاتى بالقرآن بعد فترة من الرسل و جهل من الامم فقال انه كتاب ربكم انزله على و قد امر فيه بالتوحيد و العدل و القسط و تصديق الانبياء و كتبهم و شرائعهم و اظهر كثيرا مما غيره اممهم و اخفوه من كتبهم و دينهم و عظم شعائر الله و جدد شرائع الله فامر بالعدل و الاحسان و ايتاء ذى القربى و نهى عن الفحشاء و المنكر و البغى و احل الطيبات و حرم الخبائث و جدد للناس رسوم الانسانية بعد ما صاروا بهائم رتع و امر

بالزهد فى الدنيا والايمان بالله والكفر بالجبت والطاغوت و خلع الانداد والاخلاص فى التوحيد و
حكى سنن الانبياء وسيرهم و سننهم و سنن الاوصياء للاعتبار وذكر الامثال و عظم الاخرة بما لامزيد
عليه و احوال الجنة والنار و ذكر النصائح والعبر والمواعظ و رغب و رهب و امثال ذلك فى غاية الوقار
والكسوف والطمانينة والجلالة والعظمة والهيبة و من ابده البديهييات ان مثل هذا الكتاب ليس
بكتاب هازل لاعب بالدين مستهزئ بالله و رسله و كتبه و شرائعه جليس الشياطين و عدل الكافرين
الفاسقين كافر بالله و رسله و كتبه مسول للناس مظهر غير ما يكتمه يريد جلب متاع الدنيا و خدعة
الناس و مكرهم و كيدهم فان على كل حق حقيقة و على كل صواب نورا و المتنبي اكفر كافر و اعظم
مشرك و افضح منافق يستهزئ بالله و رسله و كتبه و يلعب بهم يراعى دائما نفسه لا يضره من ضل اذا
انتفع و من هلك اذا بقى له رياسته غير مهمته بهداية الناس و غير حامل اياهم على العبادة والزهادة و
الاعراض عن الدنيا و كسب الانسانية و تمام همته فى ثبوت رياسته و حصول منافعه و هواصطبل
الشياطين يغدو عليه فوج منهم و يروح عليه فوج و هواهل فسق و فجور و افك و افتراء و كذب و زور و
بهتان افاك قفاز هماز لماز فاجر ماجن خائن و من كان كذلك لا يتكلم بمثل هذا القول ولا يطاوعه
نفسه على الاستقامة طول عمره و لا يصبر اربعين سنة بلا عابئة يؤنب بها ثم يدعى النبوة ثم يستقيم على
الاعتدال الى منتهى اجله و لو والله نظرت فيما ذكرت و الى طبائع الخلق و اهل العالم لتيقنت بحقيقته
صلى الله عليه و آله بصرف حالاته و سيرته و اخلاقه و شرائعه و عباداته و طاعاته و زهاداته و سلوكه فى
جميع احواله على مقتضى العقل السليم و كيف يمكن ان يكون رجل من اهل الكفر بالله و برسله و
اليوم الاخر و لا يغلب عليه شهوة و لا عادة و لا يخطى فى شىء من احواله طريق العقل السليم بالجملة
اتى بكتابه و قرأه بين ظهرانى القوم ذاكر ان فيه علم ما كان و ما يكون و انه فيه تفصيل كل شىء و تبيان
كل شىء و ضرب فيه من كل مثل و ما فرط فيه من شىء و لا رطب و لا يابس الا فيه و فيه ما يحتاج
اليه الامة الى يوم القيامة لانه لا كتاب بعده و لا شرع بعد شرعى (شرعه ظ) و لا نبى بعدى (بعده ظ) و
قال و ما من غائبة فى السماء و الارض الا فى كتاب مبين و صدقه الله على هذا المدعى و لم يكذبه
بوجه فلما ابى القوم قبوله عنه و لم يقنعوا باخباره مع سائر معجزاته تحداهم و قال ان كنتم تزعمون انى
كاذب فى قولى انه من عند الله فانتم ايضا بشر مثلى فأتوا بمثله فان ما هو من افعال البشر و اقواله يمكن
ان يؤتى بمثله و جعل لتحديه مراتب فمرة قال الله سبحانه على لسانه ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا
بحديث مثله ان كانوا صادقين و ذلك ان الكلام المتقول من صنع البشر و انتم بشر عقلاء ذوو الالسن
فأتوا انتم ايضا بحديث مثله يحدث عما حدثت عنه و يمكن تنزيل هذه الاية الى حكاية تامة ايضا

فلما رأى عجزهم اى عجز الحاضرين المكذبين عن الاتيان بمثله قال الله تعالى له ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فنزلنا عن الاتيان بكتاب مثل القرآن فأتوا بعشر سور مثله ففيه قصار ايضا و اكتفى منكم بعشر صور (سور ظ) قصار فلما رأى عجزهم عن ذلك ايضا قال الله تعالى له و ما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه و تفصيل الكتاب لارىب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله و ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فلما رأى عجزهم عن ذلك ايضا قال الله تعالى له و ان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا و لن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس و الحجارة اعدت للكافرين و اراد بقوله من مثله من مثله من مثل القرآن من الكتب المنزلة من السماء من التوراة و الانجيل و الزبور و صحف ابراهيم و غيرها من الكتب فان لم يكن سائر الكتب السماوية التى نزلت من عند الله مثل القرآن كما لم يكن الرسل مثلى فكيف يمكن ان يكون كلام البشر مثل القرآن فلما رأى عجزهم عن كل ذلك ترقى و قال الله تعالى له قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا و لقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا فقال ان القرآن لاشتماله على كل مثل و صفة كل شىء و تبيان كل شىء لو اجتمعت الانس و الجن عربهم و عجمهم على ان يأتوا بمثل هذا القرآن فى اشتماله على تبيان كل شىء و لو بغير لسان العرب لا يأتون بمثله و لو تظاهروا و علم كل واحد جهل الاخر و صحح كل واحد غلط الاخر و تعاونوا و جعلوا علومهم بعضها على بعض فانهم لا يقدرين على ذلك فانهم لا يحيطون بعلم الله منفردين و لا جميعا فكيف يقدرين على الاتيان بمثل القرآن المشتمل على علم ما كان و ما يكون الى يوم القيمة فلما رأهم لا يقنعون بالتحدى و عجزهم و يحتمل عند بعض انه لعلمهم فى زمانهم عجزوا و لعل اهل تلك البلدة عجزوا و غيرهم يقدرين على ذلك دخل عليهم من باب التقرير باوضح بيان فقال تعالى قدره يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فساق الكلام الى سائر اعمالهم الى ان قال لكن الراسخون فى العلم منهم و المؤمنون يؤمنون بما انزل اليك و ما انزل من قبلك و ساق الكلام الى ان قال لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه و الملائكة يشهدون و كفى بالله شهيدا فان كان يحتمل ان هؤلاء الشاهدين داهنوا او جهلوا او لم يعتنوا او عجزوا و غيرهم ليس بعاجز او عارضوا سرا و لم يجسروا ان يبرزوا فالله جل جلاله لا يحتمل فى حقه شىء من ذلك لا يداهن و لا يدارى و لا يخاف و لا يغرى بالباطل و لا يهمل الخلق و لا يشبه الباطل بالحق و هو شهيد على انه انزله بعلمه و كفى به شهيدا و شهادته

لصدقي اعظم من اقرار ذوى نهاكم و خطبائكم و شعرائكم و قال جل جلاله فى جواب اولئك و لو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين الى ان قال قل اى شىء اكبر شهادة قل الله شهيد بينى و بينكم و اوحى الى هذا القرآن لانذركم به و من بلغ فبين ان الله و انتم معترفون ان شهادته اكبر الشهادات شهيد على صدقي فما بالكم لاتعترفون بصدقي و قال قل لو شاء الله ما تلوته عليكم و لا ادريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلاتعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون فلو كنت مفتريا على الله لكنت اظلم الناس و ما كنت افلح ابدا و الظالم هالك منقطع عن الله خائب خاسر لا يهديه الله الى خير دنيا و آخرته و شرح خيبة الذين ينقطعون عن الله فى سورة هود مفصلا فقال ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله و ان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون من كان يريد الحياة الدنيا و زينتها نوف اليهم اعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون يعنى لو كان محمد صلى الله عليه و آله مفتريا لكان من اهل الدنيا و لحقه و زرع اعماله فى الدنيا ثم قال اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه و من قبله كتاب موسى اماما و رحمة اولئك يؤمنون به و من يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلاتك فى مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون و من اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم و يقول الاشهاد هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا و هم بالاخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض و ما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع و ما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم و ضل عنهم ما كانوا يفترون ان الذين آمنوا و اختلفوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى و الاصم و البصير و السميع هل يستويان مثلا افلاتذكرون انظر الى صراحة الايات فى دليل التقرير و شرح احوال الكاذبين و الصادقين و الفرق بينهما و الزام كل فريق علامته الخاصة به و قال فى سورة الشعراء و انه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين و انه لفى زبر الاولين او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماؤ بنى اسرائيل فبين ان البشارة بمحمد صلى الله عليه و آله فى زبر الاولين و البشارة فى التورية موجودة بنزول هذا القرآن و يكفى بهما آية على صدق النبى صلى الله عليه و آله الى ان قال و ما تنزلت به الشياطين و ما ينبغى لهم و ما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون الى ان قال هل انبثكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثم يلقون السمع و اكثرهم كاذبون و الشعراء يتبعهم الغاؤون الم تر انهم فى كل واد يهيمون و انهم يقولون ما

لايفعلون فبين حال من يتعلق به الشياطين و حال الشعراء و ذكران محمدا مبين حاله مع حالهم و اقواله مع اقوالهم و قال فى سورة العنكبوت و قالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الايات عند الله و انما انا نذير مبين او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة و ذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى و بينكم شهيدا يعلم ما فى السموات و الارض و الذين آمنوا بالباطل و كفروا بالله اولئك هم الخاسرون فبين ان هذا الكتاب يكفى من كل آية باقية و فيه الرحمة و الذكرى ثم استشهد الله الذى يعلم ما فى السموات و الارض ثم بين ان من آمن بالباطل و كفر بالله خاسر لايسدده الله و قال فى الشورى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك و يمح الله الباطل و يحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور و قال فى الاحقاف ام يقولون افترأه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى و بينكم و هو الغفور الرحيم و قال فى سورة الحاقة فلا قسم بما تبصرون و ما لاتبصرون انه لقول رسول كريم و ما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون و لا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين و لو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين الى غير ذلك من الايات التى استدلل الله سبحانه بها على صدق نبيه و كتابه و سائر انبيائه بالتقرير فبهذا الدليل اوضح ان الله شهيد يرانى و يسمعنى لا يدهن و لا يدارى و لا يسالم و لا يصالح و لا يعين الباطل على الحق و لا يغرى بالباطل قادر على دفعى ان كنت مفتريا بانواع الدفع و هو قد صدقنى فما تأملكم بعد ذلك فآمن من آمن و كفر من كفر عنادا بعد اتمام الحجة و وضوح المحجة و استحق من الله العذاب الاليم بالجمله هذا صفة تحديه بهذا الكتاب و صفة استدلاله على انه من عند الله .

و اما وجه اعجاز كتابه على نحو الاختصار ان الكلام له فضلان فضل صورى و هو الفصاحة و السلاسة و الجزالة و غيرها من محاسن اللفظ و فضل معنوى و هو ما يشتمل عليه من المعانى التى هى فى اللفظ كالروح فى الجسد و كون اللفظ بالغافى تأدية المراد على اكمل وجه بجميع جهاته واقعا فى محل لايسع لغيره و الفضل الاول ينفع و هو كمال ان كان الفضل الثانى ثابتا و الا فلا كمال فيه بل هو فى نهاية القباحة الا ترى انه لو جمع واحد من كتاب اللغة الفاظا سليسة و كتبها واحدا بعد واحد من غير ربط معنوى بين الالفاظ بل جمع صرف الالفاظ او تنطق بتلك الالفاظ لا يعد هذا الرجل متكلمما فصيحاً و كلامه ركيك قبيح ميت و اما اذا كان اللفظ حيا ذا روح و له المحاسن اللفظية كان الكلام فاضلا فصيحاً حيا البتة و انما مثل ذلك كبدن مصنوع من الخرق و الاخشاب معتدل الصورة لحيوة له و بدن حى جميل و بينهما بون بعيد فتفاضل الالفاظ حقيقة بمعانيها فكلما يكون المعانى جليلة

موافقة للواقع مشتملة على علوم دقيقة ودلالة الالفاظ بموادها وصورها ومواقعها وخصوصياتها عليها صحيحة مع المحاسن اللفظية يكون الكلام جليلا فمهما فاق علم احد جماعة يفوق كلامه على كلامهم اذ كلام كل ناطق على حسب عقله ويتكلم على حسب علمه فيرتب كلمات تدل على مطالبه الجليلة بحيث يعجز عنه من لا علم له بها البتة وان تخلفا يعنى كان كلمات فيها محاسن لفظية بلامعنى صحيح وكلام له معان صحيحة والفاظه غير سليسة قدم الاخير البتة ورد الاول فانه لا فائدة فيه فان اجتماعا كان الكمال وكل الكمال له ويعجز عنه من ليس له تلك الدرية البتة ارايت لو ان جميع العرب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وآله حضريهم وبدويهم اجتمعوا على ان يأتوا بكتاب مثل الروضة او الرياض او الحدائق او كتاب آخر من كتب العلماء قدروا على الاتيان بمثلها بل لم يقدروا فانهم لم يكونوا من اهل العلم فلا كانوا يقدرون على الاتيان بمثلها ابداء الا ان يتعلموا ذلك العلم فيمكنهم صوغ الالفاظ على طبق تلك المعانى وكذلك لو اجتمع جميع العلماء الاولين و الاخرين فضلا عن سائر الناس من غير العرفاء الكاملين على ان يأتوا بمثل شرح الزيارة لشيخنا الاوحد اعلى الله مقامه لم يقدروا عليه بل على فهمه بل لا يقفون على مراد سطر بل لا يدركون علة وضع كلمة منه موضعها ونكتتها فلعلهم يرون انها تخالف السجع و ظنوا ان لفظا آخر يحفظ السجع اولى منها و لا يفهمون حسن لفظه و موقعه من كتابه ابداء فانهم ليس لهم معرفة الشيخ بحقائق المعانى و مناسبة الالفاظ لها فاذا عرفت ذلك فاعلم ان الله سبحانه وضع فى القرآن تبيان كل شىء و تبيان كل شىء فوق شهادات البشر لا يقدرون عليه البتة فهم لا يقدرون على اتيان كلام يكون فيه تبيان كل شىء البتة و بلاغة اللفظ ان يصدر من الناطق به فى وقته و محله و على قدر الكفاية فى احسن الدلالة و مناسبة تامة و كل ذلك يكون على حسب العلم بالمعنى و اللفظ و حقايق الاشياء و مناسبات الالفاظ معها على ما حققناه فى محله و على ما يأتى فلوان غير عالم جهد فى البلاغة حتى يكون كالعالم لا يكون ابداء فان العالم لا ينطق بواو و لا فاء الا فى محله و لاجل حكمة و لملاحظة سروانى يسع غير العالم ان يتكلم ببلاغة العالم ففصاحة القرآن ليست بمعجزة فان الفصاحة صفة الكلمة فى نفسها و كلمات القرآن كانت مستعملة عند العرب شائعة و كلهم كانوا يستعملون تلك الالفاظ و ليس شيوع الكلمات بين العرب و قدرتهم على التفوه بها سبب رفع الاعجاز عن القرآن الا ترى ان كلمات قصائد امرئ القيس مثلا و لله المثل الاعلى شائعة معروفة عند جميع العرب و انما جمعها بحيث يعرض على المجموع وصف الوزن و وصف البلاغة و تأدية المعنى على احسن وجه لم يكن الا من خواصه و خواص من هو فى درجته فى الشعرو كذلك كلمات شرح الزيارة للشيخ الاوحد مثلا كلها عربية معروفة

عند العرب و كلهم يستعملونها و انما جمعها بحيث تفيد تلك المطالب الجليلة و المعارف العظيمة
 ليس شأن كل احد الا من كان فى درجته من العلم فانه لا يأتى بكلمة و لا بحرف الا لاجل اداء مطلب
 لا يعرفه الا هو و من هو مثله فتفاضل الكلام بوضع كل حرف و كل كلمة فى محل لو بدل و حرف لم يدل
 على ذلك المطلب فرب عالم يأتى بحرف او كلمة يدل على مطلب واحد و رب عالم يأتى بحرف او
 كلمة يدل على مطلب عديدة و رب عالم يأتى بحرف يدل من حيث معناه اللغوى على مطلب و من
 حيث صفاته المعروفة فى التجويد على مطلب بل مطالب و من حيث منسوباته و قواه الجفرية على
 مطالب و من حيث خواصه الريمائية على مطالب و لا يأتى بكلمة الا و هى تطابق بعض مراداته
 بظواهرها و بعضها بظاهر ظاهرها و بعضها بباطن باطنها و بعضها بتأويلاتها و هكذا فتفاضل
 الكلام فى امثال هذه الامور و ما يعرض على الحروف و الكلمات و الفقرات من النظم و الترتيب الدال
 على عجائب المطالب و ان كان لفصاحة الكلمات دخل فى المقام فان حسن النظم مع غير فصاحة
 الالفاظ اخس و ادنى من حس التأليف مع الفصاحة فى الدرجة القصوى البتة فحروف القرآن من
 حيث انفسها لا اعجاز فيها بالبداهة و كذا كلماتها و اما وضع كل حرف و كلمة فى مقام فانما ينشأ من
 علم فمن كان له ذلك العلم يقدر عليه و من لم يكن له ذلك العلم لا يقدر عليه و لربما يمر بها من ليس
 له تلك الدرية و يزعم ان غيره من الحروف او الكلمات اولى فانه لا يرى الا ظاهرها و العالم لاحظ
 جميع جهاتها كوضع العالم بعينه فلرب جاهل يزعم ان الشمس لو كانت اقرب الى الارض كانت اولى
 او لو كانت ابعد كان احسن اذ لا يدري سر خلقه العالم و كذلك امر القرآن بعينه فلرب اناس اذا نظروا
 فيه زعموا انه ليس بمعجز و كل عربى فصيح بالغ يقدر على مثله و انما يعجزون بسبب الصرف و
 لا يتدبرون ان العرب لا يقدر على تصنيف كتاب مثل كتب العلماء فكيف يقدر على تصنيف
 كتاب مثل القرآن اليس القرآن الا جسدا ميتا لا روح له ام له روح فان كان له روح فما روحه هل روحه
 هذه المعانى التى يعرفها كل بدوى ام له بطون و تأويلات و حقائق و لطائف و اسرار كما قال تبياننا لكل
 شىء فان كان منطويا على علم الاول و الاخر فكيف يقدر العرب على الاتيان بمثله بل كيف يقدر
 البشر على الاتيان بمثله و تحدى النبى صلى الله عليه و اله تحدى واقعى لانه يعلم انه انزل بعلم الله و ان
 الله سبحانه وضع فيه علم ما كان و ما يكون و لم يضع حرفا مكانه الا لاجل حكم لا تحصى و الدلالة
 على علوم لا تمنى بحيث لو قدم حرف او اخر عن محله لاختل ذلك المراد و لو وضع كلمة مكان كلمة
 لفسد ذلك المقصود و ليس النبى شاعرا و لا خطيبا محضا يكون نظره منحصر فى المعانى الظاهرة
 فاذا تحدى قومه يكون تحديه فى المعانى الظاهرة و انه لم يتحد شعراء العرب و حدهم و انما تحدى

جميع الانس والجن وفيهم الشاعر والخطيب والاديب وصنوف العلماء والحكماء والعرفاء وفيهم الرعية والاولياء والانبيا والرسل فتحدى جميعهم لانه نظم كلامه نظما ينطوى على علم ما كان وما يكون الى يوم القيمة وهذا العلم ليس لاحد حتى يقدر على نظم كلام كذلك واما المعانى الظاهرة التى يعرفها كل عربى فليس فيها حد اعجاز وليس يفهم العرب فى حروفه وكلماته وايه وسوره بل كله من حيث متفاهم العرب وبيان هذا المعنى بهذا اللفظ اعجازا ولاجل ذلك انكروم كونه بنفسه معجزا وقالوا ان المعجز هو صرف الخلق عن الاتيان بمثل القرآن غفلة منهم عما ينطوى عليه القرآن و انما مثل تحديه والله المثل الاعلى ان يتحدى الشيخ الاوحد اعلى الله مقامه العرب والعجم الجهال والعلماء بكتابه شرح الزيارة او الفوائد فيقول ان كنتم تزعمون انى افتريت على الله فى هذين الكتابين و نسجتهمما باطلا فأتوا بكتاب مثل واحد منهما ان كنتم صادقين فلاشك ان مراده ليس ان أتوا بحروف هجائه فانها حروف ينطق بها جميع اهل اللسان ولا بكلماته فانها منطوقة كل صبي ولا بمعانيه التى هى مقتضى لغة العرب وانما المراد ان أتوا بكتاب يشتمل على ما يشتمل من اسرار توحيد الذات والصفات والافعال والعبادات واسماء الله وصفاته وشئون مشيئته وجهات تعلقاته وفضائل محمد وآل محمد عليهم السلام فى مقام البيان والمعانى والابواب والامامة وفضائل شيعتهم فى كونهم من اشعتهم وظواهرهم بين ظهرانى العباد وتام الكلمة التامة التى لايجاوزها برو ولا فاجروهى الاسم الاعظم وينطوى على معرفة حقائق الاشياء فى العوالم الالف الالف وسرا اليجاد واحوال النفوس ومدارج ترقياتها واسبابها وعللها وينطوى على اسرار الشريعة والطريقة والحقيقة وعلى اصول يستفاد منها علوم جمة وذلك ان الشيخ كان عالما وكلامه على حسب علمه لاسيما اذا تعمد ان يأتى بكتاب يشتمل على جميع ذلك فانه لايفرط فيه بقدر جهده وكذلك النبى صلى الله عليه وآله وله المثل الاعلى عالم وما وصفى له بانه عالم هو رسول الله وافضل خلق الله اتى بكتاب وقال فيه تبيان كل شىء وما فرط فيه من شىء وما من غائبة فى السماء والارض الا وهوفيه ثم تحدى الانس والجن فقال لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله وفيهم الانبياء والرسل واولوا الامر فتبين انه لم يكن تحديه بالفصاحة او البلاغة فى المعانى الظاهرة ولم يكن شاعرا او خطيبا يكون همه ذلك ولم يكن وجه خطابه الى الشعراء وحدهم او الخطباء او العرب او اهل عصره وحدهم بل خاطب الخلق الى يوم القيمة ولما كان هو عالما بما وضع فيه تحدى جميع الخلق وقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاعجاز القرآن فيما ينطوى من العلوم وقوع كل حرف موقعا يدل على تلك العلوم فهو معجز الان لفظا ومعنى لايقدر احد من الجن والانس على نظم الحروف والكلمات على حسبه ومثله

بحيث يكون منظويا على ما ينطوى ودرك هذا الاعجاز منه ليس حد كل احد فان الناظر فى كتاب العالم لا يعرف سر نظم حروفه و كلماته ما لم يكن عالما و لا احد يساوى علمه علم الله سبحانه حتى يعرف اسرار نظمه و مواقع اشاراته فان قلت فهب ان العرب بما ذا عرفوا انه معجزو كيف عجزوا عن الاتيان بمثله و اعترفوا به اقول ان العرب لم يعرفوا انه معجز خارج عن حد البشر و ليس ذلك حدهم و غاية ما عرفوا عجزهم و انما ذلك ايضا لاجل العلوم الظاهرة التى كان يشتمل عليها و الغيوب و غيرها و انما نقصان فصاحتهم فى الظاهر عن حد فصاحته فانه فوقهم فى الفصاحة و البلاغة البشرية ايضا و انما عدم امكان الاتيان بمثله الى يوم القيمة فلا بل لعل جهالا يزعمون انه يمكن على حسب متفاهمهم فانهم يزعمون ان حروف القرآن معروفة و كلماته مشهورة و المعانى الظاهرة اللغوية منه مفهومة و ان النبى صلى الله عليه و آله ايضا لم يتحداهم باية كيف و ثم نظرية و مدهامتان آية فيمكن عندهم الاتيان باية فآية و آية و هكذا و لا يدركون ربط الايات البتة فاذا ركبوا من تلك الايات المقدورة على زعمهم آيات و سموها سورة زعموا انها صارت مثل القرآن لاسيما و اقصر سورة الكوثر فكيف عرفوا انها من حيث الظاهر معجزو العلماء تحيروا بعد الفحص و البحث العظيم فانكر جمع منهم ان يكون ظاهره معجزا و ذلك الجأهم الى القول بالصرفة من حيث لا يشعرون و ان قيل فلم لم يعارضوه قلت تركوا المعارضة لما ذكرت من اشتماله على العلوم التى لم تكن عندهم مع فصاحة كانت فوق فصاحتهم الظاهرة قطعاً و ان لم يعرفوا كونها على حد الاعجاز و كم من كلام نسجوا على منواله جهلا حتى ان فى ازماننا صاروا يعارضونه و تحير كثير من العرب و العجم و العلماء لجهلهم فيه حتى زعموا انه مثل القرآن حتى اعترفوا بانه مثل القرآن و افضل و انما ذلك لغاية جهلهم بما ينطوى عليه القرآن من الاسرار فلما وقع تلك الخزعبلات فى ايدينا استخرجنا عوارها و فسادها و كتبنا عليها كتباً و كذلك يخزى الله الظالمين فالعرب لم يفهموا وجه اعجاز القرآن و لا عرفوا حد الفصاحة الممكنة و الاعجازية و لم يكن ذلك من شأنهم و غاية تصديق العرب انه فى غاية الفصاحة و فوق فصاحة كلماتهم كيف و تحير العلماء مع بحثهم و فحصهم و فصاحتهم و بلاغتهم و علمهم فى ذلك فكل منهم ذهب الى شىء حتى ان منهم لماعجز عن درك وجه الاعجاز قال هو معجز لانه قديم و اضحك الثكلى بقوله فالعرب البوالون على اعقابهم كيف يعرفون وجه الاعجاز نعم ان النبى اتى بمعجزات اخرا عجزتهم ثم اتى بالقرآن و قال فيه علم الاول و الاخر و ذلك اليوم كانوا جهلة بهذه المعانى الظاهرة ايضا لا يعرفون توحيداً و لا سنة المرسلين و لا سيرة الانبياء و اخبارهم و لا ما يمدح و يذم من الاخلاق و الاعمال و لا تلك الامثال و العبر فانهم كانوا اهل بادية جهالا لا يعرفون الهرم من البر فعجزوا عن تلك المعانى الظاهرة مع انه فى

الفصاحة البشرية فوقهم ولاسيما وفيه غيوب و عليه شهود من التوراة والانجيل وآثار الانبياء و
ينبؤهم بما فى قلوبهم وبما يسرون فى خلواتهم وله وقع عظيم لاسيما اذا خرج من فم النبى او قرأ فى
عصره ويريد اقامة الحجة به وله رعب وعظمة وتأثير فى القلوب ومزيدا على ذلك هو فى الفصاحة و
البلاغة الظاهرة ايضا افصح من كل كلماتهم وابلغ واسلس واحلى اليس ان اكثر العرب اذعنوا لامرئ
القيس لانه كان افصحهم وسلموا له وان لم يكن كلامه معجزا وآيسوا عن معارضته ولم يقدروا على
الاتيان بشعر مثل شعره فالنبى وله المثل الاعلى كان فى الظاهر ايضا افصح منهم اقلا وان لم يدركوا
حد اعجاز فصاحته فلما كان افصح من كلهم ظاهرا وانطوى كتابه ظاهرا على علوم كانوا بها جهالا
لانهم بدويون اظهروا العجز عن الاتيان بمثله ولا غرو وقد ذكرت ان الناس غير العالمين يعجزون عن
الاتيان بمثل كتاب عالم فالعرب ايضا عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن لانه ظاهرا افصح من كلهم و
ينطوى على علوم لا يعرفونه فخضعوا لديه واذعنوا وانقادوا مع ما يشاهدونه من سائر المعجزات وان
معانى القرآن الظاهرة قد شاع بين المسلمين بعد نزول القرآن وشرح النبى والا فذلك اليوم ما كانوا
مشتمين رائحة هذه المسائل لا اهل كتابهم المرتدون عن دين نبىهم ولا العرب البوالون على عقبيهم
ولا العجم عبدة النار والشمس فجميع الناس كانوا جاهلين بهذه المسائل الا قليلا من اهل الكتاب
الثابتين على دين نبىهم وانى لهم بعلم جميع كتب الانبياء وسيرهم وما حرف من كتبهم مثل ما فى
القرآن وان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه مختلفون وكان اغلب سيرهم مجهولة و
لذلك قال تلك من انباء الغيب نوحىها اليك وفى الفصاحة الظاهرة افصحهم ايضا فلما رأوا هذه
الاحوال عجزوا ظاهرا وباطنا عن ظاهر القرآن وباطنه واما درك انه معجز وفوق حد البشر فلا فاما هو
مخصوص بمحمد وآل محمد عليهم السلام الذين هم العالمون به بل هى آيات بينات فى صدور
الذين اوتوا العلم واما اليوم فمن جاء بعبارات يزعم انها مثل القرآن بعد ما تعلموا العلوم الظاهرة من
محمد وآل محمد عليهم السلام وسرقوا الايات وقدموها واخروها فان الله يفضحهم لما ظهر من شأن
القرآن ونكاته وما أتى الله العلماء من معانيه ولما علم بالتقرير انه ينطوى على علم الاول والاخر ولما
حتم الله فى الحكمة ان يخزى الفاسقين ويحق الحق بكلماته ويبطل الباطل كما فعل فالحمد لله
الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ولنذكر شطرا من اقوال العلماء فى وجه الاعجاز
لتكون على بصيرة.

الباب الثالث

اعلم ان المسلمين بعد اتفاقهم على ان القرآن معجز دال على صدق النبى صلى الله عليه واله وانه

من عند الله صدر على وجه الاعجاز بخلاف الاحاديث القدسية فانها لم تصدر على وجه الاعجاز وبعد اتفاهم على انه من يوم نزل القرآن لم يقم فى العالم احد بمعارضته ولم يأت احد بما يماثله من اهل العالم لا من كلامهم المستحدث ولا من كلمات السالفين ولا من الكتب السماوية ولا فى سائر اللغات غير العربية اختلفوا فيما اعجز الناس منه اى انه معجز باى صفة و اى خاصته على اقوال شتى حتى وقعوا تحت كل كوكب فمنهم من قال انه معجز لانه قديم و حكاية عن الكلام القديم و هذا القول بالهجر و الهديان اشبه فانا فى عويل من القول بقدمه و قد ظهر لكل محقق بطلانه و هو ينطق بحدوثه و يقول ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه و هم يلعبون لاهية قلوبهم ثم ان العرب و المسلمين اى علم لهم بانه قديم حتى يعجزوا عن الاتيان بمثل القديم و قد عرفوا عجزهم و اذعنوا و انقادوا له من غير اعتراف بقدمه بالجمله هذا القول لا يحتاج الى رد و منهم من قال ان وجه الاعجاز فى القرآن ان الله سبحانه صرف الخلق عن معارضته و سلبهم العلم بكيفية نظمه و فصاحته و قد كانوا لولا هذا قادرين على معارضته و متمكنين منها و هذا القول مروى عن السيد المرتضى و جمع من العامة و استدل له بان الله تعالى صرفهم عن المعارضة و ان العدول عنها كان لهذا لان فصاحة القرآن خرقت عاداتهم لان الفضل بين الشئيين اذا كثر لم تقف (لم تخف ظ) المعرفة بحالهما على ذوى القرائح الذكية دون من لم يساوهم بل يغنى ظهور امرهما عن الرؤية بينهما و لهذا لا يحتاج فى الفرق بين الخرز و الصوف الى احذق البزازين و انما يحتاج الى التأمل الشديد التقارب الذى يشكل مثله و نحن نعلم انا على مبلغ علمنا بالفصاحة نفرق بين شعرا مرئ القيس و شعر غيره من المحدثين و لا يحتاج فى هذا الفرق الى الرجوع الى من هو الغاية فى علم الفصاحة بل نستغنى معه عن الفكرة و ليس بين الفاضل و المفضل من اشعار هولاء و كلام هولاء قدر ما بين الممكن و المعجز و المعتاد و الخارج عن العادة لان جميع الشعراء لو كانوا بفصاحة الطائيين ثم اتى آت بمثل شعرا مرئ القيس لم يكن معجزا و كذلك لو كان البلغاء فى الكتابة فى طبقة اهل عصرنا لم يكن كلام عبد الحميد و ابراهيم بن العباس و نحوها خارقا لعاداتهم و معجزا لهم و اذا استقر هذا و كان الفرق بين قصار سور المفصل و بين افصح قصائد العرب غير ظاهر لنا الظهور الذى ذكرناه فلعله ان كان ثم فرق فهو مما يقف عليه غيرنا و لا يبلغه علمنا فقد دل على ان القوم صرفوا عن المعارضة و اخذوا عن طريقها انتهى و قال القوشجى فى شرح التجريد و ذهب النظام و اكثر المعتزلة و المرتضى من الشيعة الى ان اعجازه بالصرفة و هى ان الله تعالى صرف همم المتحدين عن معارضته مع قدرتهم عليها و ذلك اما بسلب قدرتهم او بسلب دواعيهم و احتجوا بوجهين الاول انا نقطع بان فصحاء العرب كانوا قادرين على التكلم بمثل مفردات السور و مركباتها

القصيرة مثل الحمد لله رب العالمين وهكذا الى الاخر فيكونون قادرين على الاتيان بمثل السورة و
الثنى ان الصحابة عند جمع القرآن كانوا يتوقفون فى بعض السور والايات الى شهادة الثقات وابن
مسعود قدبقى مترددا فى الفاتحة والمعوذتين ولو كان نظم القرآن معجزا بفصاحته لكان كافيا فى
الشهادة والجواب عن الاول^١ ان حكم الجملة قد يكون مخالفا لحكم الاجزاء وهذه بعينها شبيهة من
نفى قطعية الاجماع والخبر المتواتر ولو صح ما ذكر لكان كل من آحاد العرب قادرا على الاتيان بمثل
قصائد فصحاءهم كامرئ القيس واقرانه واللازم قطعى البطلان وعن الثانى^٢ بعد صحة الرواية وكون
الجمع بعد النبى عليه الصلوة والسلام لا فى زمانه وكون كل سورة مستقلة بالاعجاز ان ذلك
للاحتياط والاحتراس عن ادنى تغير لا يخل بالاعجاز وان اعجاز كل سورة ليس مما يظهر لكل احد
بحيث لا يبقى له تردد اصلا واستدل على بطلان الصرفة بوجوه الاول ان فصحاء العرب انما كانوا
يتعجبون من حسن نظمه وبلاغته وسلاسته فى جزالته ويرفضون رؤسهم عند سماع قوله تعالى يا
ارض ابلعى ماءك الاية لذلك لا لعدم تأتى المعارضة مع سهولتها فى نفسها الثانى انه لو قصد الاعجاز
بالصرفة لكان الانسب ترك الاعتناء ببلاغته وعلو طبقته لانه كلما كان انزل فى البلاغة وادخل فى
الركاكة كان عدم تيسير المعارضة ابلغ فى خرق العادة الثالث قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس و
الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فان ذكر الاجتماع و
الاستظهار بالغير فى مقام التحدى انما يحسن فيما لا يكون مقدورا للبعض ويتوهم كونه مقدورا لكل
فيقصد نفى ذلك وقال الطوسى فى المتن واعجاز القرآن قيل لفصاحته وقيل لاسلوبه وفصاحته معا
وقيل للصرفة والكل محتمل وقال صاحب الخرائج فى باب الصرفة والاعتراض عليها والجواب عنه
قال وتقرير الدليل على صحة ذلك فى الصرفة هو انه لو كانت فصاحة القرآن خارقة للعادة لوجب ان
يكون بينه وبين ما يضاف اليه من افصح كلام العرب التفاوت الشديد الذى يكون بين الممكن وبين
المعجز فكان لا يشتهبه الحال بين كلامين فصيحين وان لم يكن بينهما ما بين الممكن والمعجز الا
ترى ان احدنا يفرق بين شعر الطبقة العليا من الشعراء وبين المحدثين باول نظر ولا يحتاج فى معرفة
ذلك الفضل ان يرجع الى من تناهى فى العلم بالفصاحة وقد علمنا انه ليس بين هذين الشعرين
ما بين المعتاد والخارق للعادة فاذا ثبت ذلك وكنا لانفرق بين قصار سور المفصل وبين افصح شعر

١ هذا الجواب ينفع ان عرف الناس حكم الجملة والا فلا جواب فيه . منه

٢ هذا محض خرص وتخمين وليس بقطعى ولا دليل على انهم كانوا يطلبون الشهود احتياطا . منه

العرب ولا يظهر لنا التفاوت بين الكلامين الظهور الذي قدمناه فلم يحصل الفرق القليل ولم يحصل الكثير ولم يرتفع اللبس بين التفاوت ولم يرتفع مع التفاوت ثم قال والاعتراضات على ذلك كثيرة منها قولهم الفرق بين افصح كلام العرب وبين القرآن موقوف على متقدمى الفصحاء الذين تحدوا به و الجواب ان ذلك لو وقف عليهم مع التفاوت العظيم لوقف مادونه ايضا عليهم وقد علمنا خلافه فاما من ينكر الفرق بين اشعار الجاهلية والمحدثين فان اشار بذلك الى عوام الناس والاعاجم فلا ينكر ذلك وان اشار الى الذين عرفوا الفصاحة فانه لا يخفى عليهم فان قالوا الصنف عما اذا وقع قلنا الصنف وقع عن ان يأتوا بكلام يساوى او يقارب القرآن فى فصاحته وطريقة نظمه بان سلب كل من رام المعارضة التى يتأتى بها ذلك فان العلوم التى يتمكن بها من ذلك ضرورية من فعل الله تعالى بمجرى العادة وعلى هذا لو عارضه بشعر منظوم لم يكونوا معارضين ثم يدل عليه انه صلى الله عليه وآله اطلق التحدى وارسله فوجب ان يكون انما اطلق تعويلا على ما تعارفوه فى تحدى بعضهم بعضا فانهم اعتادوا ذلك بالفصاحة وطريقة النظم ولهذا لم يتحد الخطيب الشاعر ولا الشاعر الخطيب ولو شكوا فى مواده لاستفهموه فلما لم يستفهموه دل على انهم فهموا غرضه ولو لم يفهموه لعارضوه بالشعر الذى له فصاحة كثيرة من القرآن واختصاص القرآن بنظم مخالف لسائر النظم يعلم ضرورة وقال والذى يدل على انه لولا الصنف لعارضوه هو انه اذا ثبت فى فصيح كلامهم ما يقارب كثيرا من آى القرآن والنظم لا يصح فيه التزايد والتفاضل بدلالة انه يشترك الشاعران فى نظم واحد لا يزيد احدهما على صاحبه وان تباينت فصاحتهما واذا لم يدخل النظم تفاضل لم يبق الا ان يقال الفضل فى السبق اليه وذلك يقتضى ان يكون من سبق الى ابتداء الشعر ووزن من اوزانه اتى بمعجزة وذلك باطل ولا يتعذر نظم مخصوص بمجرى العادة على من يتمكن من نظوم غيره ولا يحتاج فى ذلك الى زيادة علم كما نقول فى الفصاحة فمن قدر على التبسيط يقدر على التطويل وغيره ولو كان على سبيل الاحتذاء وان خلا كلامه من فصاحة فعلم بذلك ان النظم لا يقع فيه تفاضل قال والاعتراض على ذلك من وجوه احدها انهم قالوا يخرج بقولكم هذا القرآن من كونه معجزا على الحقيقة على ذلك لان على هذا المذهب المعجز هو الصنف وذلك خلاف اجماع المسلمين الجواب ان هذه مسألة خلافية لا يجوز ان يدعى فيها الاجماع على ان معنى قولنا معجز فى العرف بخلاف ما فى اللغة والمراد به فى العرف ما له حظ فى الدلالة على صدق من ظهر على يده والقرآن بهذه الصفة عند من قال بالصرفه فجاز ان يوصف بانه معجز وانما ينكر العوام ان يقال القرآن ليس بمعجز متى اريد به انه غير دال على النبوة وان العباد يقدرون عليه واما انه معجز بمعنى انه خارق للعادة بنفسه وبما يستند اليه فموقوف على

العلماء المبرزين على انه يلزم من جعل جهة اعجاز القرآن الفصاحة الشناعة لانهم يقولون ان من قدر على الكلام من العرب و العجم يقدر على مثل القرآن وانما ليست لهم علوم بمثل فصاحته قال و اعترضوا وقالوا اذا كان الصرف هو المعجز فلم لم يجعل القرآن من ارك الكلام واقله فصاحة ليكون ابهر في باب الاعجاز الجواب لو فعل ذلك لجاز لكن المصلحة معتبرة في ذلك فلا يمنع انها اقتضت ان يكون القرآن على ما هو عليه من الفصاحة فلاجل ذلك لم ينقص منه شيء ولا يلزم في باب المعجز ان يفعل ما هو ابهر و اظهر وانما يفعل ما يقتضيه المصلحة بعد ان كان دلالة الاعجاز قائمة فيه ثم يقال هلا جعل الله القرآن افصح مما هو عليه فما قالوا فهو جوابنا وليس لاحد ان يقول ليس وراء هذه الفصاحة زيادة لان الغايات التي ينتهي اليها الكلام الفصيح غير متناهية قال ومن اعتراضاتهم قولهم لو كان المعجز الصرف لما خفى ذلك على فصحاء العرب لانهم اذا كانوا يتأتى منهم قبل التحدى ما تعذر بعده وعند روم المعارضة فالحال في انهم صرفوا عنها ظاهرة فكيف لم ينقادوا والجواب لا بد وان يعلموا تعذر ما كان متأتيا منهم لكنهم يجوز ان ينسبوه الى الاتفاقات او الى السحرا والعناد ويجوز ان يدخل عليهم الشبهة على انهم يلزمهم مثل ما الزمونا بان يقال ان العرب اذا علموا ان القرآن خرق العادة بفصاحته فإى شبهة بقيت عليهم فلم لم ينقادوا فجوابهم جوابنا قال واعترضوا فقالوا اذا لم يخرق القرآن العادة بفصاحته فلم شهدوا له بالفصاحة متقدموا العرب كالوليد بن المغيرة و انقادت له واجاب دعوته كثير من الشعراء كالنابغة الجعدي و لبيد بن ربيعة وكعب بن زهير والاعشى الكبير لانه ورد ليسلم فمنعه ابو جهل و خدعه وقال انه يحرم عليك الاطيبين فلولا انه بهرهم بفصاحته لم ينقادوا له والجواب جميع ما شهد به الفصحاء من بلاغة القرآن واقعة موقعه لان من قال بالصرفة لا ينكر مزية القرآن على غيره بفصاحته وانما يقول تلك المزية ليست مما يخرق العادة ويبلغ حد الاعجاز فليس في قول الفصحاء وشهادتهم بفصاحة القرآن ما يوجب القول ببطلان الصرفة واما دخولهم في الاسلام فلا مربهرهم واعجزهم و اى شيء ابلغ من الصرفة في ذلك انتهى كلامه رحمه الله ولعمري لو تدبرت في اقوالهم و ادعائهم واعتراضهم وجوابهم و جميع ما ذكروا لوجدت كلها امورا ظنية لا يمكن التعويل عليها في امر المعجز الذي به يثبت النبوة التي هي من اصول الدين وليس لهم عليها حجة عقلية باهرة كالشمس في رابعة النهار ولو اردنا ان نذكر عيب كل كلمة كلمة من جملة ما مر لطال بنا المقال في غير طائل كثير فنكتفى برد اجمالى لهذا القول يخرب به بنيانه من اصله فنقول هل العرب او غيرهم بمقتضى بشريتها قادرة على ان تأتى بمثل القرآن وانما صرفت مشاعرها وآلاتها عن معارضتها ام لم تكن قادرة فان لم تكن قادرة فقد ثبت ان القرآن فوق قدرة البشر و خارق عاداتهم وهو معجز وان كانت قادرة فهل صرفوا عن التكلم بمثله قبل التحدى ابدا

وبعده بحيث لم يصدر من احد من الناس منذ زمان آدم الى زمان النبی صلى الله عليه وآله ولا يصدر بعده الى يوم القيمة كلام بفصاحته على غير معنى المعارضة ام كانوا من قبل يتأتون وعجزوا بعد التحدى فان كانوا من قبل التحدى يتأتون بمثله او ما يقاربه او صدر من احد من نبى او وصى نبى او حكيم او عليم او اديب او غيرهم فقد عورض القرآن ووجد مثله اذ قد صدر مثله من البشر و كان من متمكناتهم وليس القرآن فوق امكان البشر فانه قال فأتوا بسوره مثله ولم يقل من تأليفكم بل فأتوا به ولو كان من غيركم من افراد البشر فمن ظن انه كان قبل يصدر من البشر وبعد تحدى النبى صرفوا كما يفهم من بعض عبارات مررت فقد قال بان القرآن قد عورض بلا حجة وهو من متمكنات البشر وكم من صنعة اتى بها احد من السالفين ولم يأت بها فى عصره احد ثم اتى بمثلها احد من المتأخرين والحال انه لم يأت احد بمثله ولو من كلام السلف بل فى تفسير العسكرى عليه السلام معنى الطف حيث قال عليه السلام فأتوا بسورة من مثله من مثل هذا القرآن من التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم والكتب الاربعة عشر فانكم لاتجدون فى سائر كتب الله سورة كسورة من هذا القرآن وكيف يكون كلام محمد المتقول افضل من سائر كلام الله وكتبه يا معشر اليهود والنصارى الخبر ومن هذا الحديث الشريف يفهم معنى آخر كان يختلج فى صدرى وهو انه صلى الله عليه واله لم يشترط العربية فى التحدى بل الغرض اتيان كتاب او سورة يشتمل على ما يشتمل القرآن فانه لوقام واحد من العجم واتى بسورة عجمية بهرت العجم ويشتمل على علم ما كان وما يكون يسعه ان يقول للنبي صلى الله عليه واله انت جئت بسورة عربية بهرت العرب ولم يقدروا على الاتيان بمثله لضعف علمهم وها انا لست بنبي او ادعى النبوة مثلك واتيت بسورة عجمية بهرت العجم وكما لا يقدر العجم على مثل سورتك لا يقدر العرب ايضا على مثل سورتي وكما بهرت سورتك العرب بهرت سورتي العجم فيصدق على ذلك انه عارض القرآن وابطل حجته كأن يفتخر سلطان بان لى سريرا ليس لاحد فيفتخر آخربان لى تاجا ليس لاحد فلا يكون لاحدهما على الاخر فضل البتة وكل فرد من افراد الانسان له خاصة ليست للآخر الا ترى انه لو ادعى احد نبوة ودعا الجدار فاجاب وقام واحد آخر وقال انا لست بنبي واقول للماء الجارى قف فيقف فقال قف فوق الماء فقد اتى بمثل امره الا ان يظهر ذلك المدعى وجه الحيلة فى وقوف الماء ويبطل امره فان لم يبطل امره فهو ايضا آت بخارق للعادة مع عدم ادعاء النبوة فيظهر ان صدور خارق العادة ليس من اسباب النبوة فعلى ذلك لو جاء احد بسورة فارسية او تركية او هندية تبهر اهل ذلك اللسان و كان مشتتملا على ما يشتمل عليه القرآن من وجوه الاعجاز لكان آتيا بمثل القرآن ولتبين ان كلاما لا يقدر عليه اهل عصره او اعصار ليس من اسباب النبوة كما رضى النبى صلى الله عليه ان يأتوا

بمثله من السريانية والعبرانية على ما اخبر به العسكرى عليه السلام ولم يأتوا به اللهم الا ان يضم اليه امر آخرو هو خارج عن موضع البحث فمن يصعب عليه درك عربية القرآن ويزعم انه يمكن معارضته فليات بغير لسان العرب باى لسان كان مثل القرآن فظهران من زعم انه كان قبل زمان التحدى يصدر عنهم مثل القرآن و صرفوا عنه بعده فقد قال بان القرآن عورض و ا بطل اعجازه البتة و ان لم يأت احد به حاضرا بل كان وضاع عن الناس لقلة المبالاة فانه يكفى فى ان مثل القرآن مقدور البشر و لم يقل النبي ان من قبلكم كانوا قادرين و انتم لاتقدرون و لم يقل عارضوه بتأليفكم لا بتأليف من قبلكم و ان كانوا مصروفين عن مثله سابقا و لاحقا احتراما للقرآن و لم يصدر عن احد من العرب و العجم من لدن آدم الى زمان التحدى و لا يصدر من احد من العرب و العجم الى يوم القيمة فليس ذلك فى قوة البشر التى يمكن بروزها و لا مرجح لبروزها و انما هى فى امكانهم البعيد و لا احد يمنع ان البشر من عرض الامكان و يمكن فى قدرة الله ان يجعل كل احد نبيا ذا معجز فمعارضة القرآن اذا غير مقدور لبنى آدم من لدن آدم الى يوم القيمة و ان كانت فى امكانهم الا ترى ان فى امكان النطفة ان تصير ولدا ذا رأسين ولكن جرى عادة الله بخلق بنى آدم ذا رأس واحد فجبلة البشر ان يكونوا كذا و عادة ايجادهم كذا فان كان البشر كلهم سلفا و خلفا مصروفين من عند الله و لم يخلق الله اسبابا يقدرون بها على اتيان مثل القرآن فمن الذى يخرج من امكانهم هذه القوة الى الفعلية الا ترى ان الله لو صرف جميع بنى آدم عن النطق بحيث لا ينطق منهم احد لكان عادة البشر و سيرتهم ان يكونوا بكما فلو تكلم واحد بعد لكان خارقا للعادة و اما الامكان البعيد الموقوف على قدرة الله فحاصل لهم فى شق القمر و رد الشمس ايضا فانه يمكن فى قدرة الله جعل كل احد قادرا على شق القمر و انطاق الحصى و الذئب ولكن لم يخلق الله غير النبي هكذا و لم يهيء لاحد اسباب ذلك و كل احد لا يقدر على شىء فهو بصرف الله كائنا ما كان و بالغ ما بلغ و كل احد يقدر على شىء فبتوفيق الله كائنا ما كان و بالغ ما بلغ و ابى الله ان يجرى الاشياء صرفا و توفيقا الا باسبابها فمن هيا الله له اسباب الصرف لا يقدر على التصرف ابدا و من هيا الله له اسباب العمل يقدر عليه فعدم اتيان الناس بمثل شق القمر ايضا بصرف الله بمقتضى قابليتهم و لو شاء الله لفعلوا و ان قيل بين المقامين فرق فان الله مرة يجعل الشىء فى قوة زيد و قدرته كالقيام ثم يمنعه عنه لحكمة و مرة لا يجعل الشىء فى قوته اصلا و المراد ان الاتيان بمثل القرآن من قبيل الاول قلت ان ذلك لا يفيدكم شيئا فانه على ما ذكرنا كان جميع البشر فى جميع الدهور و يكونون مصروفين عن هذا و لم يصرفهم الله البتة الا بقابلية و استعداد لهم فكان طباع البشر مقتضيا للصرف فلاجل ذلك قضى الله لهم بالصرف و ليس يجبر الله احدا عن شىء يستعد له و يقتضيه كما لم يفوض اليه ان يفعل

ما يشاء واذا كان طباع جملة البشر مصروفا عن هذا من اين علمتم انهم كانوا قادرين عليه والذى مثلتم به يعرف اذا كان واحد يفعل وواحد لايفعل فالذى لايفعل فهو بصرف الله ما فى قوته واما اذا لم يظهر على احد من البشر ذلك ابدا فكان عدم الظهور على الكل لحكمة عامة فمحال ان يظهر منهم ذلك فاذا ليس الاتيان بمثله من عادة البشر ولا من متمكنات البشر ولا يقدر عليه احد من البشر واما قولكم لولا الصرف لقدروا فذلك جار فى كل شىء فانى اقول لولا صرف الله لكان كل احد نبيا فان كل من يحرم عن شىء يحرم بمنع الله وكل من ينال شيئا يناله بفضل الله وتوفيقه الا ترى ان النبى صلى الله عليه وآله لو اذن لاحد ان يدعو شجرا فيجيبه يمكن له ذلك فيدعوه فيجيبه البتة فمن لا يقدر على ذلك فبصرف الله ومنعه وعدم اذنه وتوفيقه له البتة ولو شاء الله لهدى الناس جميعا ولكن الله اعلم حيث يجعل رسالته ولو نشاء لجعلنا منكم ملئكة فى الارض يخلقون فلا ينفعهم هذا القول بوجه فتبين وظهر ان القول بالصرفة ساقط بالكلية مع ما فى سائر كلماتهم من الاختلال الكثير وليس لى الان اقبال الى امثال هذه المباحثات والرد والاعتراضات فلاجل ذلك اعرضنا عن التعرض لسائر كلماتهم.

الباب الرابع

ومنهم من قال ان وجه اعجاز القرآن الفصاحة قال فى الخرائج الاشبه بالحق والاقرب الى الحجة بعد ذلك القول اى الصرفة قول من قال ان وجه اعجاز القرآن المجيد خروجه عن العادة فى الفصاحة فيكون ما زاد على المعتاد هو المعجز الى آخر كلامه اقول يلوح منه انه يرجح الصرفة على سائر الاقوال وبعدها الاعجاز بالفصاحة ولعمري الظاهر بالحق قليل واقل منه العارف به فلربما يختار احد الحق من حيث لا يشعر فيكون ظافرا به غير عارف به بالجملة ان كانوا يريدون ان وجه الاعجاز الفصاحة التى يدركها سائر الناس وحدها دون سائر خواص القرآن فذلك خطأ محض فان وجوه اعجاز القرآن كثيرة كما سيأتى ان شاء الله ثم الدليل على عدم معرفتهم لما اختاروا انهم صاروا يستدلون على ان القرآن معجز من حيث الفصاحة بان فصحاء العرب اعترفوا بانه معجز وان فصاحة القرآن فوق حد البشر وانه يجب على اهل المشرق والمغرب ان يقلدوا كعب بن قيس مثلاً وكعب بن زهير والاعشى الكبير ولبيد ووليد وامثالهم والحال ان درجات فصاحة الكلام ليست كدرجات سائر الافعال فيعرف الناس منها ما هو حد البشر وما هو فوق حد البشر كما انه يعرف كل رجل وامرأة وشاب وكهل وصغير وكبير واحمر واسود ان القيام والقعود والذهاب والمجىء من حد البشر والصعود الى السماء ودعوة الشجر واجابته وانطاق الحصى ليس من طاقة البشر وهدم فليس للفصاحة حد محدود يعرفه

الناس وان كان فى الواقع لها حد معجزو لكن ليس ذلك بدرجة يعرفها الناس ويقفون عليها والا لما انكره العلماء الذين يشقون الشعور ذلك ان كل صنعة يعرف الناس اسبابها او يقدرن على تصورها او تصور مثلها ووجه الحيلة فيها والطريق اليها يعرفون انها مقدورة لهم غاية الامر انها لاتأتى منهم لعدم اسبابها او عدم مزاولتها وممارستها وكل صنعة لايعرفون اسبابها ووجه علاجها او يرون انها صدرت بلاسبب علاجى يعرفون انها معجزة لانهم يرون العمل حاصلًا ولايرون له سببا والفصاحة هى ان علم وجه ادائها باى نحو كان فيرون انهم قادرون عليها كعالم يفهم نكات كلام عالم آخر فكل من فهم نكات كلام يقدر ان يأتى بكلام مثله ويجعل فيه تلك النكات او مثلها البتة ولو بعد حين ولو بجهد ولو باعانة غيره وان لم يعرفوا نكاتها و اشاراتها فلا يصدقون ان فى الكلام نكات و اشارات و محسنات ازيد مما تعرف وذلك ان الفصاحة امر علمى ان علمت علمت وان لم تعلم فهى مجهولة كعامى يسمع كلام عالم ولا يدري فيه نكات ام لا فكيف يصدق انه فيه نكات حتى يدعن واما الذى يعلم اجمالًا ان فى الكلام نكات عديدة مما يعرف وما لا يعرف فذلك حسن ظن وليس يبلغ به ذلك الظن الى تصديق اعجازه فانه لا يرى مجهولاته حتى يعلم انها فوق حد البشر بخلاف شق القمر مثلاً فانه يراه و يرى انه بغير اسباب علاجية فكل حد عرف من فصاحة الكلام يمكن الاتيان بمثله وكل ما لا يعرف فهو مجهول لا يعلم ما حده وما مقداره فتبين و ظهر لمن نظرو ابصر وانصف واعتبر ان الفصاحة ليس لها حد يعرف الناس منه غاية حد البشر والزائد عليه والقول بان فصحاء العرب عرفوا ذلك ونحن على آثارهم مقتدون محض مجازفة وقول بغير علم فان متأخرى العرب ليسوا باقل معرفة بفنون الكلام و اساليبه ونظمه وفصاحته وبلاغته من المتقدمين وقد اجتمع عندهم الافكار والتم لديهم الانظار و دونت الكتب ولم يتركوا شيئاً صغيراً ولا كبيراً من جهات الفصاحة والبلاغة الا وقد ضبطوه فاين جامعة المتأخرين من متقدمى العرب الذين لم يكن لهم كتاب ولا اجتمعت علومهم وافكارهم وانظارهم وكانوا اميين ومن اهل البوادي وكل واحد منهم كان يتكلم بمقتضى فطرته غاية الامر كانوا فصحاء ولكن بلاعلم كالذين يتكلمون دائماً بقواعد منطقية ولا يعرفون علم المنطق فاين عوام اهل الكلام من العارفين بالقواعد المنطقية ولا يعرفون علم المنطق فاين عوام اهل الكلام من العارفين بالقواعد المنطقية المتدبرين فيها الكاتبين للكتب فيها فمتأخروا اهل الادب البتة هم اعرف بفنون الفصاحة ومع ذلك هم لا يعرفون حد فصاحة القرآن حتى ان جمعا منهم زعموا انه يمكن التكلم بفصاحة مثل فصاحته ولكن الله يصرف الناس عن التنطق بمثله هذا وكل احد لو انصف عرف من نفسه انه لا يدرك حد اعجاز فصاحة القرآن البتة بل المدعون ان اعجاز القرآن بفصاحته ليس يدركون

ذلك ولو ادركوا لما احتاجوا ان يستدلوا على ذلك بتصديق وليد و لبيد و الاعشى و ارى العلماء الازكياء و الشعراء الادباء و الخطباء الفصحاء لو تلى عليهم آية من القرآن غلطا و هم لا يحفظونها من الخارج لا يشعرون بانها قرئت غلطا فكيف يدركون فصاحتها و تحرف لهم و لا يشعرون و روى ان الاولين لما عزموا على جمع القرآن كانوا يؤتون بآيات فيطلبون الشهود على انها من القرآن فكل آية معها شهود اثبتوها و كل آية ليس معها شهود تركوها و بذلك تركوا كثيرا من التنزيل فكيف كانوا يعرفون فصاحة القرآن و القول بان طلب الشهود لشدة الضبط قول بمحض تخمين و لا حجة لهم عليه الا ان الغالب على النفوس حسن الظن بالاموات و تقليد الماضين انا وجدنا آباءنا على امة و انا على آثارهم مقتدون هذا و الفصاحة و البلاغة ليستا من خواص العربية و عصر الماضين بل هما من كمال كل لغة و توجدان فى كل لسان و فى كل عصر فليتدبر متدبر فى لغته و فى عصره هل يمكنه معرفة حد فى الفصاحة و البلاغة يبلغه البشر و حد لا يبلغه البشر و القول بان فى الكلام عقلا حدا فوق حد البشر ليس ينفع فى المعرفة بالفعل هذا و ان النبى صلى الله عليه و اله لم يتحد اهل عصره فقط و لا اهل لغته فقط و انما قال لو اجتمعت الانس و الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا و قال فان لم تفعلوا و لن تفعلوا و قال و ادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين و من اين علم وليد و لبيد ان الانس و الجن من لدن آدم الى يوم القيمة لو اجتمعوا و جمع بعضهم فهمه مع فهم الاخر و صحح كل واحد غلط الاخر و عرف كل واحد منهم ما يعرفه من النكات للآخر و تعاونوا على سورة لها ثلث آيات كالكوثر لا يقدر على ان يأتوا بمثل القرآن و من اين صار نظر الكفار و شهادتهم على جميع الانس و الجن حجة و من اين علموا ان فى اقصى بلاد العالم و فى بعض جزائره لا يوجد واحد يقدر على مثل فصاحة القرآن و من اين علموا ان فى الارض الجديدة و بلاد لم يسمعوا باسمها مثلا ليس قوم يتكلمون بالعربية هم افصح من اهل مكة هب علموا ان الانس لا يقدر من اين علموا ان الجن لا يقدر هب علموا ان العرب لا يقدر كيف علموا ان العجم لا يقدر فى لسانه على فصاحة و بلاغة توازيان فصاحة القرآن و بلاغته فى عربيته و ان النبى صلى الله عليه و آله لم يقل ائتوا بسورة عربية و كمال القرآن و اعجازه ليس فى كونه عربيا بل فى كونه فصيحاً بليغاً حاوياً لعلم ما كان و ما يكون و لم يوضع حرف منه فى موضع الا لحكمة و دلالة على اسرار من جهات شتى كما بينا و هى كمالات خارجة عن خصوص اللغة فلواتى احد بكلام لاطينى يكون فصاحته فى لغته و بلاغته و احتوائه على العلوم توازى القرآن لقد اتى بمثل القرآن كما مران العسكرى عليه السلام قال انه تحداهم ان يأتوا من العبرى و السريانى ايضا فتبين و ظهر لمن نظروا ابصران القوم عرفوا شيئا و غابت عنهم

اشياء ولعمري لو كان السناد والعماد فى تصديق اعجاز القرآن وان اهل المشرق والمغرب والانس و الجن يعجزون عن مثله قول الاعشى ووليد الكافرين الاميين الجاهلين الذين لايعرفان خيرهما من شرهما وهما غافلان عن عجائب خلق الله و فرق اهل العالم وكمالاتهم فاضعف به ايماننا واسخف به ديننا فتبين انهم لم يكونوا عالمين بما قالوا غافلين عن شبهات العالم وشكوكه وقالوا شيئا على الفطرة وطباع اهل العالم التقليد فكل من قدم شيئا ينسج على منواله الاخر فان قلت فما السناد وما العماد و علام الاعتماد قلت على العليم الخبير الشهيد القدير الذى خلق الانس والجن ورفع السماء ووضع الارض واحاط بكل شىء علما وقدر كل شىء تقديرا الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وتقدم هنا كلاما مجملا لتسكين فؤادك الى ان تفصل الحق تفصيلا فاعلم ان القرآن بفصاحته وبلاغته ايضا معجز ولا يقف على حد اعجازهما احد الا الله جل جلاله والمعصوم المطهر الاتى به والنازل فى بيته و الذى يعرفه سائر البشر كل واحد منهم يعرف عجز نفسه عن الاتيان بمثله ولربما لايعرف ويأتى بكلام يظن انه صار مثل القرآن ولكن على الله ان يبعث واحدا ينبهه على انه ناقص ليس فى حد القرآن فان نبهه واحد مثله فهو والا فجماعة من امثاله بعد الموازنة والا فالامام المعصوم يقوم بذلك ويعرفه انه كلام ناقص ليس يبلغ حد القرآن الا ترى انه رب رجل تكلم بكلام مسجع وعرف انه لم يصرمثل القرآن و لربما تكلم جاهل بكلام مسجع ولم يعرف هل ماثل القرآن ام لم يماثل ولرب رجل تكلم بكلام وظن انه ماثل القرآن لجهله فاذا وقع على فصيح عالم عرف انه لم يقارب القرآن وعرف ذلك الرجل عواره و نقصه ولربما يتكلم فصيح بكلام لايعرف هو ولا سائر الفصحاء نقصه عن درجة القرآن كما اعترف القائلون بالصرفة انا لانفرق بين قصار سور القرآن وافصح قصائد العرب ويصدقون على انفسهم فاذا صدر كلام من احد وحصل الشبهة فعلى الامام والحجة وعلى الله تعالى ان يبعث واحدا او يظهر الحجة ويعرف عوار ذلك الكلام اذ ذلك فوق حد البشر وقد عجز البشر عن التمييز وعلى الله البيان قال الله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض فنحن نعرف اعجاز فصاحة القرآن ان النبى صلى الله عليه وآله قام بين يدي الله وجاء بهذا الكتاب وتحدى العرب والعجم والانس والجن وعجز من سمعه عن مثله وسكت الله سبحانه الشهيد القدير العليم الحكيم عن رده وعن ان يبعث احدا يرده ويأتى بكتاب مثل كتابه فلما رأينا سكوت الله عرفنا انه صادق كما صدقنا قوله لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وعجز فصحاء العرب لايدل على عجز الجن و الانس من لدن آدم الى يوم القيمة والجن كانوا فى الدنيا قبل خلقة البشر ايضا وصدقنا قوله لن تفعلوا و عجز عرب ذلك اليوم لايدل على انه لا يأتى احد بمثله الى يوم القيمة فكما صدقنا هذه الايات

بتصديق الله الذى احاط بكل شىء علما و علم الخلق من اوله الى آخره و عرف الانس و الجن صدقنا ان القرآن بلغ فصاحته مبلغ الاعجاز و ان لم ندرک حده الا ترى انه لو صدق فقيه مسلم عادل حكيم مؤمن ممتحن ان فلانا فقيه تتيقن انه فقيه و ان لم تعرف مبلغ علمه ولكن القوم سكنوا هذا السكون الى قول الوليد و قالوا انا عرفنا اعجازه بتصديق الوليد و ان لم نعرف حد فصاحته ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا و لو اجتمعوا له و ان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب ماقدروا الله حق قدره و تصديق الاعشى و الوليد كبيت العنكبوت مع انه اوهن البيوت فواعجبا هل يمكن ان يحتج على الهندي و الرومي و التركي و الفرسى و الافرنجى و اهل الارض الجديدة بتصديق الاعشى و الوليد و يكلفوا الايمان فاذا سألوا البيان يقال لهم ان الوليد صدق فصدقوا جميعكم و الا فدمكم مباح و اهلكم سبى و اموالكم نهب فلا بالله و ان الامراء عظم من ذلك و اعظم قال فى الخرائج لما كان من محمد الغالب على قومه الفصاحة و البلاغة حتى كانوا لا يتفاخرون بشىء كتفاخرهم بها جعل الله تعالى معجزته من هذا القبيل فظاهر على يديه هذا القرآن فعلم الفصحاء منهم ان ذلك ليس من كلام البشر فآمنوا به و لذلك جاء المحضرمون و آمنوا برسول الله صلى الله عليه و آله منهم كعب بن قيس بن زهير و كعب بن زهير و جاء الاعشى و مدح رسول الله بقصيدة معروفة و اراد ان يؤمن به فدافعته قريش الى ان قال مات كافرا و جاء لبيد و آمن برسول الله و ترك قول الشعر تعظيما لامر القرآن انتهى اقول ذلك مبلغهم من العلم و ذلك غاية استدلالهم و عرفت انه لا يسمن و لا يغنى من جوع فتدبروا و انصف و يأتى ان شاء الله مزيد بيان .

الباب الخامس

و منهم من قال ان وجه اعجازه الفصاحة و النظم معا قالوا الذى يدل على ان التحدى كان بالنظم و الفصاحة معا انا رأينا النبى صلى الله عليه و آله ارسل التحدى ارسالا و اطلقه اطلاقا من غير تخصيص يحصره او استثناء يقصره فقال مخبرا عن ربه قل لئن اجتمعت الاية و قال تعالى و ان كنتم فى ريب الاية فترك القوم استفهامه عن مراده بالتحدى و هل اراد مثله فى الفصاحة دون النظم او فى النظم وحده او فيهما جميعا او فى غيرهما فعل من سبق الفهم الى قلبه و ازال الريب عنه لانهم لو ارتابوا لسألوه و لو شكوا لاستفهموه و لم يجر ذلك على هذا الا و التحدى واقع بحسب عهدهم و عاداتهم و معروف بينهم و قد علمنا ان عاداتهم جارية فى التحدى باعتبار طريقة النظم مع الفصاحة باعتبار الفن الذى يقع فيه التحدى و تفاوته فى الفصاحة و لهذا لا يتحدى الشاعر الخطيب بالشعر و لا الخطيب الشاعر و انما يتحدى كل انسان صاحبه بالفن المعارض حتى يأتى بمثل عروض صاحبه كمناقضة

جريرو فرزدق و جريرو للاخطل و هذه عادتهم جرى الحكم فى التحدى عليها ثم ذكر بعض الابحاث و اجوبتها ما حاصله انه و ان كانت عادة العرب كما ذكرتم فى التحدى لكن لا يمتنع صحة التحدى بالفصاحة و انه افهمهم قصده و اجاب بانه لو كان كذا لوجب ان ينقل الينا على ان التحدى لو كان مقصورا على الفصاحة لعارضوه ببعض شعرهم لانا لانعلم حق الفرق بين قصار السور و فصيح كلام العرب و هذا يدل على التقارب المزيل للاعجاز و العرب بهذا اعلم و لهذا لا يصاب فى كلام العرب ما يقارب القرآن فى فصاحته و نظمه انتهى اقول ان القول فى ذلك كالقول فى صاحبه فانه صلى الله عليه و آله لم يتحدتهم بان يأتوا بكلامهم السابق على زمان التحدى فيكفى ان يأتوا بما الفوه بعد سماعهم القرآن و اطلعهم على نظمه و لاشك ان المقدار المعروف من نظم القرآن يمكن ان يقتفى و يؤلف كلام على نظمه فان الانسان قادر بفعله على ما ادرك بعقله و عرف وجهه كما الف مسيلمة و سجاح و غيرهما من الناس على نظم القرآن بحسب الظاهر و ان النظم الذى لا يعرف منه فمجهول لا يعلم احد انه على حد الاعجاز ام لا فلا يعرف احد من العرب و لا العجم و لا المتقدمين و لا المتأخرين حد ممكن النظم من حد اعجازه و ذلك اى ما ادعوا محض قول لا معنى له و محض ادعاء و كم رأينا و سمعنا من كلام على نظم القرآن فالقول فى النظم بعينه القول فى الفصاحة نعم للقرآن نظم فوق طاقة البشر من ترتيب الايات بل الكلمات بل الحروف و تقدم بعضها على بعض و تأخر بعضها عن بعض و خواص حورفها و قواها و طبائعها و لها قرانات و اوضاع قد نطلع على بعضها بحيث يبهر العقل فذلك فوق طاقة البشر ولكن من الذى يعرف ذلك النظم حتى يعلم انه معجز ام لا فمعرفة ان نظم القرآن معجز و لا يقدر عليه احد من الانس و الجن من لدن آدم الى يوم القيمة ليس من حظ العرب الاميين البدويين الجهلة الغفلة عن اوضاع العالم الماشين وراء المواشى فى برهم و بواديههم و آكامهم و هضابهم و لا يمكن عقلاء العالم تقليدهم و حسن الظن فيهم غاية الامر انهم لما سمعوا نظم القرآن اعجبهم ذلك و راقهم و راعهم و عرفوا انه ليس بخطبة و لا شعرو و لا نثرو و لا نظم كالفصاحة حرفا بحرف و اما انه محال ان يخرج من فلق فم البشر مثله على ما يعرف فلا فمعرفة اعجاز النظم شأن المعصومين سلام الله عليهم اجمعين والله هو العالم به و عليه ان يبطل كلام المبطل و يعرف عواره و يحقق الحق فانه العالم به و حججه و لعمري اعجب الامور من امر القرآن و اعظم معجزاته ما ساحكيه لك و هو ان،

ابوهم آدم و الام حواء

الناس من حسب التمثال اكفاء

و طبائع اهل الاعصار متشاكلة و عدم عفافهم و لغوهم و هزلهم متوافقة و عرب الجاهلية معروفون فى عنادهم و لجاجهم و عصبيتهم و حميتهم ثم فى شربهم الخمر و هلعهم فى الفجور و عدم مبالاةهم

عن الكذب والزور والفرية و غاية الغرور وقد جاء النبي صلى الله عليه وآله بين ظهرائهم وحيدا فريدا
يتيما ولا احد يؤمن به فى اول الامر وانما صدقه واحد بعد واحد واتى بالقرآن وتحداهم به ووضع
السيف على آناهم والبسهم الذل على ان يأتوا بمثل هذا القرآن فلم يقدروا على الاتيان بمثله وذلك
سهل بل ولاقدروا ان يلغوا ويدعوا كذبا انا اتينا بمثله فيشهرهه فى البلاد حتى يشككوا العباد فانهم ان
عجزوا عن الاتيان بالمثل لم يكونوا يعجزون عن ادعاء ان فلانا اتى بمثله ونحن فصحاء عرفنا انه يماثل
القرآن ويساويه ويشهرهه حتى يشككوا الناس بل ماقدروا ان يصدقوا كلاما معروفا ليس يساوى القرآن
حمية وعصبية ابطالا لامر القرآن و اقل ما كان ينفع لهم ان يشككوا هؤلاء الذين يقلدونهم ويقتدون
بهم والشعراء والادباء كثيرا ما يفعلون ذلك حمية وعصبية وحسدا ولا تزعم انهم كانوا عاجزين عن
المقدار المفهوم من الفصاحة والنظم فلواتوا بعبارة تشتمل على الفصاحة بقدر المفهوم ومن النظم
على قدر المعلوم ثم شهرهه فى البلاد انا عرب فصحاء ها اتينا بمثله ثم صدق بعضهم بعضا لوقع
الشبهة والشك فى الناس الى آخر الابد فان المقدار المفهوم منهما فقد اتوا بمثله وغير المفهوم منهما
فمجهول لايطالبون به فكان يحصل الشبهة العظيمة للجهاال وكذلك فى الاعصار بعدهم وقدكثر
الزنادقة وتنبهوا بالشبهات وعرفوا نسج الكلام ومضامين الاسلام فلم يأت احد بكلام فصيح بقدر
الطاقة على نظم القرآن على المعروف حتى يقع الشبهة فى الاذهان وان قالوا خافوا صولة الاسلام قلت
كم من شعر ليس يعرف قائله وكم من كتاب ليس يعرف له مصنف فهلاكتبوا كتابا من غير نسبة الى
احد ويشهرهه فان غرضهم كان يحصل به اللهم الا بعض اصحاب النزق الذين خرجوا فى هذه الازمان
وادعوا مقامات عجيبة ونزول الوحي عليهم واتوا بخزعבלات تضحك الثكلى وقد احكمت امر القرآن
وشيدت بنيانه حيث حاولوا المجارة ولم يقدروا عليه وتبين عجزهم عن الاتيان بما يقارب القدر
المعروف من فصاحته وبلاغته بالجملة هذا الصون و صرف النفوس والعزيمات فى جميع هذه
الاعصار عن التعرض لما ذكرنا وعن الادعاء وعن اتيان ما يساوى المفهوم منه بل ما يقارب بل عن
ادعاء انا جئنا بمثله ولو كذبا فيشهرهه كما يقع كثيرا امر خارق للعادة وخلاف معتاد طبائع البشر فى
حقدهم وحسدهم ولهوهم ولغوهم وهزلهم وتبين بذلك معنى قوله تعالى ساصرف عن آياتى الذين
يتكبرون فى الارض بغير الحق ومعنى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولو كان منهم ذلك
لماخفى فى الدنيا مع هذه الشياطين والاعداء والزنادقة الساعين فى اطفاء هذا النور والادباء و
الشعراء الناقلين لكل كلام فصيح و عبارة طريفة بل وغير طريفة فالصرف بهذا المعنى واقع وهو خارق
لعادة البشرية كيف لا ولم يسلم شىء فى الدنيا عن تحاول الناس ومعارضتهم ومجاراتهم و

السعى فى اتيان مثله و لومع عدم ارادة ابطال امره و من باب تكميل النفس فى تلك الصنعة و معارضتهم لكل شىء ان هذا الا خلاف معتاد العالم و البشر وان هذا الا من صرف الله جل و عزو لعمرى ان هذا محل تعجب فانصرف كل احد بسبب عن التعرض لمثل ذلك وان كان و لو اتى بشىء لتبين عواره و ابطل الله آثاره لان القرآن فى الواقع معجز والله مظهر امره و لو كره المشركون و عليه بيانه و اثبات حقيقته و اعجازه على اى حال و عليه رفع الشبهات و الشكوك بالحجج البينة فى كل الاحوال و ليس بعجب عدم اتيانهم بمثله واقعا و انما العجب من عدم تعرضهم عن اللغو فيه و ادعاء انهم اتوا بمثله و اللبس و الخلط فى الامر بل كفر من كفر جهارا و عنادا و انكر القرآن بمحض الادعاء و قول انه سحرا و انه افتراء و لا يمكن سد فم العدو و آمن من آمن عن معرفة بحقيقته و علم بشأنه و اتبعهما من اتبعهما عن جهل بالجملة لو تدبرت فيما ذكرت لقضيت العجب مما نبهت .

الباب السادس

و منهم من قال ان اعجاز القرآن النظم المخصوص و يشعر هذا القول بان فصاحته و بلاغته ليستا بمعجزتين نعوذ بالله و قالوا الذى يجب ان يعلم فى العلم باعجاز النظم هو ان يعلم مبانى الكلام و اسباب الفصاحة فى الفاظها و كيفية ترتيبها و تباين الفاظها و كيفية الفرق بين الفصيح و الافصح و البليغ و الابليغ و يعلم مقادير النظم و الاوزان و ما به يتبين المنظوم من المنثور و فواصل الكلام و مقاطعه و مباديه و انواع مولفه و منظومه ثم ينظر فيما اتى به حتى يعلم انه من اى نوع هو و كيف فضل على ما فضل عليه من انواع الكلام حتى يعلم انه نظم مباين لسائر المنظوم و نمط خارج عن جملة ما كانوا اعتادوه فيما بينهم من انواع الخطب و الرسائل و الشعر و المنظوم و المنثور من الرجز و الخمس و المزدوج و العريض و القصير فاذا تأملت ذلك و تدبرت مقاطعه و مفاتحه و سهولة الفاظه و استجماع معانيه و ان كل لفظ منها لو غيرت لم يمكن ان يؤتى بدلها بلفظة هى اوفق من تلك اللفظة و ادل على المعنى منها و اجمع للفوائد و الزوائد منها و اذا كان كذلك فعند تأمل جميع ذلك يتحقق ما فيه من النظم اللائق المباين و المعانى الصحيحة التى لا يكاد يوجد مثلها على نظم تلك العبارة و ان اجتهد البليغ و الخطيب اقول قد نسجوا عبارات و قالوا كلمات و ما ادرى هل فهموا ما قالوا ام لا و هل فهموا بانفسهم اعجاز نظم القرآن و عرفوا من النظم ما هو حد البشر و منه ما هو فوق حد البشر و هل عرفوا ما هو حدا الانس و الجن و ما هو فوق ذلك ام لا نعم قالوا ما قالوا و لاشك ان نظم القرآن معجز و انما الكلام فى ان مقدار ما يعرفون منه و عرفه كعب بن زهير و صدق هل هو امر يعرف انه فوق حد البشر و الانس و الجن ام لا و كل من راجع نفسه و استقضى قلنسوته كما فى المثل عرف انه لا يفرق بين حد البشر من

النظم وبين حد المعجز نعم هو معجز وكل احد غاية ما يعرفه عجز نفسه وخطاء من يدعى انه اتى بمثله وهذا هو الغاية فى فهم العباد قالوا وفى نظم القرآن خواص اولها خروج نظمه عن سائر اسباب المنظومات فلما عدم وجود شبه القرآن من انواع المنظوم انقطعت اطماعهم عن معارضته و الثانية هى الروعة التى فى قلوب السامعين الثالثة انه لم يزل غضا طريا الرابعة انه فى صورة كلام هو خطاب لرسوله تارة ولخلقه اخرى الخامسة ما يوجد فى جمعه فان له صفتى الجزالة والعدوية وهما كالمتضادين و السادسة ما وقع فى اجزائه من امتزاج بعض انواع الكلام ببعض وعادة ناظمى البشر تقسيم معانى الكلام و السابعة ان كل فضيلة بنفسها تأسيس اللغة فى اللسان العربى هى موجودة فى القرآن و الثامنة وجود التفاضل بين اجزائه من السور وبين بعض فالسورة الحسنة تظهر بين المختلفات كما فى التورية كلمات عشر يشتمل على الوصايا يستحلفون بها لجلالة قدرها وكذا فى الانجيل اربع صحف وكذا فى الزبور تحاميد و تسابيح يقولونها فى صلواتهم و التاسعة وجود ما يحتاج العباد الى علمه من اصول دينهم وفروعه من التنبيه على طرق العقلية واقامة الحجج على الملاحدة والبراهمة والثنوية والمنكرة للبعث والقائلين بالطبائع باوجز كلام وابلغه وفيه من انواع الاعراب والعربية والحقيقة والمجاز والناسخ والمنسوخ وهو مهيمن على جميع الكتب المتقدمة و العاشر وجود قوة النظم فى اجزائه كلها حتى لا يظهر فى شىء من ذلك تفاوت ولا اختلاف وله خواص سواها كثيرة وقال فان قيل فهلا كانت الفاظ القرآن بكليتها مؤلفة من مثل الالفاظ الموجزة التى اذا وقعت فى الكلام زادت حسنا ليكون كلام الله على النظم الافضل الاحسن اذا كان لا يعجزه شىء عن بلوغ الغاية كما يعجز الخلق عن ذلك الجواب ان هذا يعود الى انه كيف لم يرتفع اسباب التفاضل بين الاشياء حتى يكون كلها سببا واحدا متشابه الاجزاء والابعاض وكيف فضل بعض المثلثة على بعض ومتى كان كذلك لم يوجد اختلاف بين الاشياء يعرف به الشىء وضده على انه لو كان كلام الله كله كما ذكر لخرج فى صورة المعنى الذى لا يوجد له لذة البسط والشرح ولو كان مبسوطا لم يبين فضيلة الراسخين فى العلم على من سواهم ثم انه تعالى حيكم على ان الطائفة المبعوث اليهم انما هو فى النمط الذى انزله فلو كان على تركيب آخر لم يكن لطفا بهم انتهى وكان الكتاب مغلوطا والخطب فيه سهل فان هذه الادلة صحيحةا وغلطها سواء وهى كما ترى ولسنا بصدد بيان عيوبها وردھا وانما ذكرناھا لتحيط بمبالغ العلم خيرا بالجملة القول فى النظم كالقول فى الفصاحة منفردة ومع النظم وقدم مشروحا.

الباب السابع

ومنهم من قال ان وجه اعجاز القرآن من حيث كانت معانيه صحيحة مستمرة على النظر موافقة للعقل

وما اوهن هذا الوجه اليس جميع كلمات العلماء او كثير منها معانيها صحيحة موافقة للعقل فاذا امكن مثلها وما عجز الانس والجن عن الاتيان بمثلها ويسع الناس ان يأتوا ببعض احاديث الانبياء و الاولياء ويقولوا هذا مثل القرآن فان معانيها صحيحة ولم يتحد النبي صلى الله عليه وآله ان يأتوا بمؤلف منهم بل من اى شخص كان من المتقدمين والمتأخرين بل اليس يسع احدا من العلماء بل وغيرهم ان يأتوا بعبارة بقدر سورة الكوثر تكون صحيح المعنى فى التوحيد او فضل احد من الانبياء او فى شىء من قصصهم او فى شىء من خلق السماء والارض والعبارة التى يقول هذا المدعى فى بيان مطلبه هذا ان كان صحيح المعنى فقد اتى بمثل القرآن اذا وان كان باطلا فيكون اختياره فى هذا الباب باطلا ولو قال اعجازه انه يشتمل على علم ما كان وما يكون مع صغر حجمه ويعلم صدق مدعاه بتصديق الله الذى ما كذبه وقدادعى ذلك بمرءى منه ومسمع لكان صحيحا مطاعا كما سنذكره.

الباب الثامن

ومنهم من قال ان وجه اعجاز القرآن من حيث زال عنه الاختلال والتناقض على وجه لايجرى العادة بمثله وقداراد هذا القائل ان يستنبط الوجه من قوله تعالى لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وما اصاب المعنى ولا عرف المراد الا يوجد فى الدنيا من مبدئها الى منتهاها كلام بقدر سورة الكوثر ليس فيه اختلال وتناقض فان قيل لا يوجد فقد قيل شططا وان قيل يوجد فقد حصل مثله فى العالم فكيف لم يجر العادة بمثله وايضا كلام هذا القائل ان كان مختلا متناقضا فلاحجة فيه وان كان بلا اختلاف وتناقض فقد اتى اذا بمثل سورة من القرآن. وعن الرازى ذكروا فى تفسير سلامته من الاختلاف ثلاثة اوجه حاصلها الاول قال ابوبكر الاصم ان النبي صلى الله عليه وآله كان يخبر المنافقين حالا بعد حال عن سرائر امورهم فقال الله لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا يعنى فى الاخبار عن السرائر الثانى وهو مذهب اكثر المتكلمين ان القرآن كتاب كبير مشتمل على انواع العلوم فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا الثالث ما ذكره ابو مسلم الاصفهاني ان المراد الاختلاف فى رتبة الفصاحة فان الانسان وان كان فى غاية البلاغة اذا كتب كتابا كبيرا لابد وان يظهر التفاوت فى كلامه. اقول كل هذه ليس بشىء فان النبي صلى الله عليه وآله تحدى الناس باتيان سورة واقصرها الكوثر اليس يمكن لانسان ان يأتى بسورة بقدر الكوثر ويكون خاليا عن الاختلاف فى خبر فيه او فى معنى علمى يشتمل عليه او فى فصاحته فتبين ان اقوالهم فى معنى الآية ليست بشىء واما المراد من الآية فهو انه لو كان القرآن مفترى على الله سبحانه لكان يستحق من الله الابطال وان يضربه الله بالاختلاف و

الاختلال الكثير حتى يعلم كل ناظرانه باطل و عن حلية الاعتبار عاطل و انه لا يكون تنزيلا من الله العزيز الحميد و ذلك لما قدمنا من سر التسديد فلو كان القرآن من عند غير الله لكان نعوذ بالله مفترى و المفترى به كافر منافق مشرك ظالم بعيد من الله مبدء كل خير و نور و وحدة و اتساق و كمال و صحة و دوام و ثبات و كان يستحق بذلك اضداد ذلك فكان يضربه الله باضداد ذلك فكانوا يجدون فيه اختلافا كثيرا كما ارانا الله آية ذلك فى عصرنا من خروج رجل متلبس خرج اولابانه نقيب ثم ادعى الامامة ثم النبوة ثم الالوهية و اتى بكتاب زعم انه افضل من القرآن و ان الجن و الانس لو اجتمعوا لم يأتوا بمثله و انه فى مقام النقطة و محمد صلى الله عليه و آله فى مقام الالف على ما حكى عنه و ضربه الله بالاختلاف الكثير فى كتابه و اقواله و افعاله و ابان عن جهله و خرج كتابه باغلاط و اختلاف كثير و لو صنف رجل كتابا على نظمه و لم يدع انه من عند الله لكان يأتى به خاليا من الاغلاط الظاهرة اقل و لعله خلى من الاغلاط الباطنة ايضا فان العلماء دائما يكتبون الكتب و هى خالية من الاغلاط و ان وجد فيها سهو فقليل و ان الله سبحانه ضرب ذلك الرجل باختلافات و اغلاط لا تكاد تحصى و ذلك لاجل انه نسب نفسه الى الله و ادعى ان كتابه وحى و تنزيل ففضحه الله على رؤس الاشهاد و بين عواره و خطاهه بالجملة معنى الاية ان القرآن لو كان من عند غير الله لكان مفترى و المفترى به مفسدا و ان الله لا يصلح عمل المفسدين و يحق الله الحق بكلماته و يبطل الباطل فلكان يضربه الله بعلامات البطلان و الفساد و منها الاختلاف و الاختلال فالقرآن حينئذ ليس هكذا بل هو كتاب لا يأتىه الباطل من بين يديه و لا من خلفه يدعوا الى الله و الى تصديق كتبه و رسله و البر و العمل الصالح و ليس فيه اختلاف و ما يرى فيه من الاختلاف فلاجل انه كتاب علم و كتاب عالم و فيه مشكلات و محكم و متشابه و ناسخ و منسوخ و عام و خاص و ليس ادراكه مشرعة كل خائض كما ذكر الزنادقة بعض اختلافاته و اجاب الائمة عليهم السلام و العلماء منها فالقرآن بعدم اختلافه علم انه من عند الله و ليس معنى ان كل كتاب ليس بتنزيل الله و كان من تصنيف البشر و جب ان يكون فيه اختلاف كثيرا ليس يوجد فى الدنيا كلام متعارف بقدر سورة الكوثر ليس فيه اختلاف و تناقض فلواتى بكلام بقدر سورة الكوثر و ادعى انه من الله و اراد الافتراء على الله لكان على الله ان يمهده من حيث استمد و ان يبعده كما ادبر و يضربه بعلامات الباطل و الاغلاط و النقائص و الاختلافات حتى يتبين انه ليس بتنزيل عليم حكيم قادر.

و معنى آخر لولاية ان يراد بالاختلاف التردد و المراد ان القرآن لو كان من عند غير الله لكان مشرعة لافهام كثيرة مثل سائر كتب البشر فانها تكون مشرعة امثالهم و يردها افهام كثيرة فلو كان القرآن من عند البشر لاحاط امثال مصنفه بمعانيه خيرا و الحال ان القرآن لا يعلم تأويله الا الله و الرسول المتعلم من الله و

الراسخون المتعلمون من الرسول وليس حظ غيرهم.

الباب التاسع

ومنهم من قال وجه اعجازه انه يتضمن الاخبار عن الغيوب وهذا القول منهم كالصریح فى ان مثله فى الفصاحة والبلاغة والنظم ممكن الا ان اعجازه لانه يتضمن الاخبار عن الغيوب فاذا الاخبار عن الغيوب معجزاينما حصل فلا دخل للقرآن فى الاعجاز فمن اخبر عن غيب فقد اتى بمثل القرآن بالجملة هذا القول ساقط فى الاقوال وان كان من وجوه اعجاز القرآن انه اخبر فيه بالغيب.

الباب العاشر

ومنهم من قال وجه اعجازه ان تاليف القرآن ونظمه معجزان لان الله تعالى اعجز عنهما بمنع خلقه و قد كان يجوز ان يرتفع فيقدرون عليه لكن محال وقوعه منهم الى آخر اقوالهم وهذا كالقول الاول فى الفساد فلوتدبرت فى هذه الاقوال لرأيت اكثرها قولاً بانه يمكن للخلق ان يتكلموا بفصاحة مثل فصاحة القرآن بالجملة هذا القول ايضا كالقول بالصرفة و قد مر الكلام فيها وذلك مبلغهم من العلم وعن النيشابورى فى تفسيره انه قد ذكر فى كون القرآن معجزا طريقين الاول اما ان يكون مساويا لكلام سائر الفصحاء او زائدا عليه بما لا ينقض العادة او بما نقضها الاولان باطلان لانهم مع كونهم ائمة الفصاحة تحدوا بسورة منه مجتمعين او منفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا متهاككين فى ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال و ارتكبوا المخاوف والمحن و كانوا فى الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق كيف الباطل فيتعين القسم الثالث. الثانى ان يقال ان بلغت السورة المتحدى بها فى الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والافاتناهم من المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين امره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل وما يدريك انه لن يعارض فى مستقبل الزمان وان لم يعارض الى الان قلت لانه لا احتياج الى المعارضة اشد من وقت التحدى والا لزم تقرير المشبه للحق و حيث لم يقع المعارضة وقتئذ علم ان لامعارضة والى هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا واعلم ان شأن الاعجاز لا يدرك وصفه و من فسر الاعجاز بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو كون اسلوبه مخالفا لاساليب الكلام او بانه هو كونه مبرءا عن التناقض او بكونه مشتقاً على الاخبار بالغيوب وبما ينخرط فى سلك هذه الاراء فقد كذب ابن اخت خالته فانا نقطع ان الاستغراب من سماع القرآن انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر فى القلوب تأثيرا لا يمكن انكاره لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ثم انه اجتمع فى القرآن وجوه كثيرة تقتضى نقصان الفصاحة ومع ذلك فانه بلغ فى الفصاحة النهاية فدل ذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة العرب اكثرها فى وصف المشاهدات كبعير او فرس او جارية او

ملك او ضربة او طعنة او وصف حرب وليس فى القرآن من هذه الاشياء مقدار كثير ومنها انه تعالى راعى طريق الصدق وتبرا عن الكذب وقد قيل ان احسن الشعر اكدبه ولهذا فان لبيد بن ربيعة و حسان بن ثابت لما اسلما وترك سبيل الكذب والتخيل رك شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق فى بيت او بيتين من قصيدة و القرآن كله فصيح بكل جزء منه و منها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلامه لم يكن الثانى فى الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر فى القرآن فهو فى نهاية الفصاحة وغاية الملاحاة

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

و منها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات والحث على مكارم الاخلاق والزهد فى الدنيا والاقبال فى الآخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة فى هذه المواد و منها انهم قالوا ان شعر امرىء القيس يحسن فى وصف النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى عند الطرب و وصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء و القرآن جاء فصيحاً فى كل فن من فنون الكلام و منها ان القرآن اصل العلوم كلها كل علم الكلام وعلم الاصول وعلم الفقه واللغة والصرف والنحو والمعانى والبيان وعلم الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت واما قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فانه يدل على اعجاز القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله من وجوه احدها اننا نعلم بالتواتر ان العرب كانوا يعادونه اشد المعاداة ويتهاكون فى ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم من اقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع وهو قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به و حيث لم يأتوا به ظهر كونه معجزاً وثانيها انه صلى الله عليه وآله ان كان متهما عندهم فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال فى وفور العقل فلو خاف عاقبة امره لتهمة فيه حاشاه عن ذلك لم يبالغ فى التحدى الى هذه الغاية وثالثها ان لم يكن قاطعاً بنبوته لكان يجوز خلافه و بتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع فى الكلام قطعاً و حيث جزم دل على صدقه و رابعها ان قوله ولن تفعلوا وفى لن تأكيد بليغ فى نفى المستقبل الى يوم القيمة اخبار بالغيب وقد وقع كما قال لان احدا لو عارضه لامتنع ان لا يتواصفه الناس ويتناقضوه عادة لاسيما والطاعنون فيه اكثف عدداً من الذابيين عنه واذا لم تقع المعارضة الى الان حصل الجزم بانها لاتقع ابداً لاستقرار الاسلام وقلة شوكة الطاعنين انتهى ولعمري انه كلام منحل الزمام مختل النظام متناقض مختلف يخالف بعضه بعضاً والعمرا عز من ان نصره فى اظهار عيوب كلمات الناس وانما ذكرت ذلك لتحيط بافهام الناس واقوالهم وآرائهم ومقادير افهام السابقين واس امورهم ولما فيه من بعض المدح للقرآن وليس يفهم

شىء منه اعجاز القرآن و خروجه عن حد البشر والجن من الاولين والآخرين وليس يدل عجز العرب على اعجاز القرآن الا على ما ذكرنا و سنذكره وانما يدل عجزهم على قصور درجتهم و عجزهم لا غير و اما انه ليس فى المغرب و المشرق و لم يكن من عهد آدم عليه السلام الى يومه و لا يكون الى يوم القيمة من يأتى بمثله بدليل عجز العرب فلا ورب الكعبة الا من حيث ذكرنا و نذكره و هذه جملة من الاقوال و الانظار و الخيالات و الافكار من العلماء اطلعنا عليها ذكرناها لتحيط بها علما و قدحان لنا ان نذكر ما عندنا و ان كنا ذكرنا شطرا منه .

الباب الحادى عشر

اعلم انه لاشك و لا ريب فى ان الله سبحانه سميع يسمع جميع اقوال صنوف خلقه بصير بطواهرهم و بواطنهم عليهم بشهاداتهم و غيوبهم حكيم فى صنعه و ايجاده لا يلغى و لا يعيب و خلق الخلق لغاية تصل اليهم لغناه المطلق و تلك الغاية الوصول الى الحياة الابدية و النعيم السرمدى و الهيمنة و الاستيلاء و اية الربوبية على جميع ما هو دونه فجعل هذه القوة فيهم و الا لم يصلوا اليها و احتاجوا الى من يخرج تلك القوة من كمونهم الى شهودهم و يجعلها بالفعل كما جعل قوة الكون و العين فى الامكان و استخراجها بوجود كامل مكمل قوى و هو المشية الكونية فكذلك لما خلقهم صالحين لان ينالوا تلك الغاية كانوا امكانها و احتاجوا الى وجود كامل مكمل قوى يرجح تلك القوة الكامنة و يخرجها الى عرصة الفعلية و هو المشية الشرعية و هو وجود الانبياء و الاولياء فلولاهم لم يخرج قوة سعادة من كمون احد من الخلق لضعفها بل كونها معدوما بالنسبة الى الفعلية فبعث الرسل و انزل الكتب و شرع الشرائع و سن السنن و هيا لهم اسباب اخراج تلك القوة و تلك الرسل لما كانوا مشية الله الشرعية و الوجود الكامل المكمل و الشرع هو غاية الكون و مقدم عليه و ان تاخر ظهورا و كانوا هم الواسطة بين الله و بين خلقه و اقرب الخلق الى الله و لهم جهة الى ربهم و جهة الى الخلق و جب ان يصدر عنهم افعال ربوبية و افعال الربوبية يعجز عنها البشر و الخلق لامحالة و يصدر عنهم افعال عبودية لوجود جهة الى انفسهم و الى الخلق و تلك الافعال اى افعال الربوبية بينة على وجود جهة الربوبية فيهم بالفعل كما ان افعال العبودية منهم بينة على وجود جهة العبودية فيهم بالفعل فهم يشتركون سائر الخلق فى افعال العبودية و يفارقونهم فى افعال الربوبية فهم من حيث الرب اصحاب معجزات كل منهم على حسبه و من حيث النفس اصحاب عبودية و من حكمته جعل سبحانه لكل شىء فى ملكه اثرا لانه لو لم يلق مثال مشيته فى هوية القوابل الامكانية لم تكون و ان القى انصبغ فيها على حسبها و خرج عنها كما هى فجعل لاجل ذلك لكل شىء اثرا فالشيئان لهما اثران لامحالة فان

قل امتيازهما قل امتياز اثرهما وان كثر امتيازهما كثر امتياز اثريهما البتة حتى اذا قاما على طرفى
 النقاضة باين اثراهما مباينة تامة لانهما لا يجتمعان فى صفة فلا يجتمع اثراهما ايضا فى صفة فلا يكاد
 يشتبه اثر احد النقيضين بالآخر كما لا يشتبه النقيضان البتة فلا يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات
 ولا النور ولا الظل ولا الحرور ولا الاحياء ولا الاموات ولا الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولا العاقل
 والمجنون ولا المؤمنون والفاسقون ابدا ابدا وكما تباين ذواتهم تباين صفاتهم وفعالهم وآثارهم
 قد لزم الله كلاما من الفريقين عمله و كل انسان الزمناه طائره فى عنقه قل انما طائرکم معکم فالانبياء هم
 اقرب الخلق الى الله وهم اهل الحق كلامهم نور وامرهم رشد و وصيتهم التقوى و فعلهم الكرم و
 عادتهم الاحسان و سجيتهم الخير و فعلهم البر و قولهم الصدق عليهم وقار الحق و سكينه من الرب
 فالنبي عامل بالجد مجتنب عن الهزل زاهد عابد عامل بما يأمر منته عما ينهى بكاء ذو كآبة و حزن
 قائم الليل صائم النهار يتناثر العلم من جوانبه و يتشعشع الحق من محياه و اما اهل الباطل فهم ابعد
 الخلق عن الله و اجهلهم بالله و بكتبه و برسله و هم فساق فجار ذووا غدر و مكرو ذووا نزق و خرق
 حرصاء فى الدنيا غير راغبين فى الطاعة يتناثر الجهل من جوانبهم و يظهر الحمق من فحاوى كلامهم
 يعجزون عن اكثر الصواب و يستعينون بالاصحاب قهرا و يستعلمونهم و يستقيلونهم يكثرون العثار و
 اقبح الاعتذار يتخذون لانفسهم ولائج يطلعونهم على سريرتهم فلا يشتبهان ابدا ابدا و لعمرى دعوى
 الاشتباه من اعظم الاباطيل و الاضاليل و ان هو الا تهاون بالحق و تدبير فى الفرار عنه و جميع هذه
 الاثار من الفريقين بالزام الله كل قوم اثرهم و جعله لكل شىء اثر و قل الله خالق كل شىء . والله خلقكم و
 ما تعملون فالله سبحانه لا يدع اهل حق الا و يظهر علامة صدقه فى اى درجة كانوا نبيا او وصى نبي او
 مؤمنا بل لا يدع شيئا حقا الا و يجعل له علامات و آثارا دالة على كونه حقا و لا يدع اهل باطل بل و
 لاشىء باطل الا و يظهر علامة كذبه و خطائه و انقطاعه عن الله فى اى درجة كان عدو نبي او عدو وصى
 او عدو مؤمن او شىء باطل كائنا ما كان بالغما ما بلغ فلا يستوى الظلمات ولا النور ابدا و كل باطل من
 الظلمات و كل حق من النور فانى يشتبهان والله من بديع حكمته الزم كل شىء اثره لا يقدر على مفارقتة
 و ان كان فى بعض الناس خلط عرضى نورانى و ظهر منهم آثار نورية فانما لهم ذوات ظلمانية و لها آثار
 ظلمانية و الذاتى يغلب العرضى البتة و لا يبقى آثار خلطه العرضى خالصا و تكون ممتزجة بظلمات
 ذاتيته مع غلبة ظلمات ذاتيته و هي هنا يفتتن من يفتتن و يمتحن من يمتحن الا ان الامتحان هذا
 يكون فى درجة المؤمنين و اضدادهم و اما الانبياء فهم خالصون عن الاعراض المشبهة و كذا اعداؤهم
 خالصون عن الاعراض المشبهة و انما الداء العضال فى مقام المؤمنين و سائر الاشياء و الاخبار و

الاحكام الحققة و الباطلة فهنالک يهلك من يهلك عن مستمسك و ينجو من نجى عن مستمسك
بالجملة ان الغرض ان الله سبحانه الزم كل شىء اثره فالزم المعجزو صاحبه الذى هو من عنده اثره و
الشعوذة و السحر و الحيلة و اصحابها آثارها و على الله سبحانه ابطال الباطل و احقاق الحق و اما
الخلق الضعيف فما علمهم بحقيقة الاعجاز و السحر و الشعوذة و الحيلة و ما علمهم بصنوف علوم
العالم و عجائب الخلق و الخواص و الغرائب و ما علمهم بانه لا احد فى اقصى بلاد العالم و ابعد
جزائره من البشر يقدر على ذلك و كيف يمكن من رأى الاثار العجيبة من الخلق و من الاشياء ان
يتيقن ان ذلك من النبى معجزة و ان العلماء المستدلين ببعض الادلة القائلين ببعض الاقوال غافلون
عن صنوف علوم العالم و آثارها و غرائب اعمالها بحيث يتحير الالباب فى معناها و غافلون عن مبالغ
خواص الرياضات و آثارها و عن منتهى ترقيات النفوس و استيلائها على عالم الاجسام و لذلك ينقل
اتباع كل مرتاض و مرشد من متبوعه انواع اشباه خوارق العادات فان بنينا ان نكذب امة من الناس
يحكون عن مرشدهم شيئا لاتسع الخرق و لجاز تكذيب المسلمين فى رواياتهم و نقلهم المعجزات بل
يحصل القطع من تواترهم كما يحصل القطع من تواتر المسلمين ولكن العلماء معذورون لعدم
احاطتهم بالعلوم الغريبة و آثارها و عجائبها و عدم اطلاعهم بالحيل و الشعوذات و لرب شىء لوراؤها
لظنوا انها معجزة لولا حفظ الله بالجملة العاقل الفطن الذى طالع كتب اهل الملل و سيرهم و رواياتهم و
اطلع على العلوم و التدبيرات و لواجمالا يشك فى كل ما رأى فان الشيطان لم يدع صورة حق فى
جانب الحق و عليين الا و قد نسج على منواله صورة باطل فى جانب الباطل و سجين فيمكن لاهل
الباطل ان يأتوا بمثل كل صورة حق الا ان الله المطلع على الحقائق الملزم كل شىء اثره هو الذى تكفل
اظهار ذلك و عليه بيانه و تعريفه و تمييز الحق من الباطل و اظهار اثر كل واحد بحيث يعرف كل من
نظروا بصرو طلب الحق و تفكر الحق من الباطل و المحلى من العاطل و ذلك حتم فى الحكمة
لا يتخلف و لو تخلف لبطل الاحتجاج و سوى الباطل بالحق و انى لا قدر ان اذكر صنوف عجائب اهل
الباطل الى اين وصل حدهم و الى اين بلغ مقامهم و ان الرجل منهم على ما قيل بلغ فى باطله و رقيه و
عزائمه مقاما يصب الماء على يديه و يسقيه المحموم فيبرأ و يرسل الى الجراد ان ارجعى فترجع و قيل و
العهد على الراوى ان رجلا كان يعد ان يأتى القوم لثلاث ساعات مضت من الليل فيتأخر عمدا الى
الخمس فيعاتبونه على خلفه الوعد فيقول ما خالفت وعدى اخرجوا مقاديركم فيخرجون مائة مقدار
صحيح العمل كلها على ثلث و يرى عساكر فى الهواء و يخرج فى دقيقة واحدة من جميع ابواب البلد
فيأتى الخبر من جميع الابواب ان فلانا خرج فى الدقيقة الفلانية و منهم من يشمون على الماء و يطوون

الارض ويدخلون النار ولا يحترقون فاذا بلغ الامر هذا المبلغ وتضافرت الرواية لم يبق للخلق الضعيف الا الاعتصام بالله والركون الى تصديق الله حتى اذا قيل له على الصراط آله اذن لكم ام على الله تفترون يقول انت اذنت لى وانى صدقتك حيث كنت انا الجاهل بالغيب وبواطن الامور وانت العالم القادر العادل الحكيم فهو قام بين يديك وادعى نسبه اليك وان ما يفعله فعل ربوبية وانت اجريت على يديه مدعاه وسكت عنه وانت الرب القادر العليم العادل فانى سكنت الى تصديقك وعملت برضاك ولذلك احتج جميع الانبياء على صدقهم بشهادة الله وعلمه وعدم اصلاحه عمل المفسد و احقاه الحق وابطاله الباطل وعدم اغرائه الى الضلال وقد ذكرنا شواهد ذلك فى كتابنا المبسوط علم اليقين فخذ به وكن من الشاكرين. ومن المعجزات القرآن الذى بعث النبى على اهل المشرق و المغرب فى اختلاف سنتهم وجاء به معجزا واستدل به على نبوته وادعى فيه عجائب منها ان فيه تبيان كل شىء وتفصيل كل شىء لا رطب ولا يابس فى العالم الا وقد شرح فيه وفيه تصريف كل مثل بحيث لم يفرط فيه من شىء وهذا مما لا يمكن تصديقه من غير فهم لاحد الا بضم امر آخر وهو ما نحن بصدده من التقرير ومنها انه لو اجتمعت الانس والجن من لدن آدم الى يوم القيمة على ان يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا يصحح كل واحد غلط الاخر وينبه سهوه ويعلم جهله ويوقفه على خطائه ويتفكرون مدى اعمارهم ولو عمروا عمر العالم كل ذلك لاطلاق القول وهذا مما لا يعرف ولا يمكن تصديقه الا بامر آخر وهو ايضا ما نحن بصدده من امر التقرير ومن الذى يعرف ذلك انه يكون كذا الا الله وانى للعرب اهل الجاهلية الغفلة عن اوضاع العالم غير المفارقين جزيرتهم معرفة ذلك وكيف لغيرهم ان يعرف انهم لم يغتروا بجهلهم وهم يومئذ اهل مكة والمدينة ومن حولهما من اهل البوادي الذين هم اتباع كل ناعق لا يعرفون الهرم من البر ونرى اضعافهم قد اغتروا من سائر الفرق فصدقوا الرجل من اهل الباطل بالاعجاز ورووا له روايات وايم الله من اراد ان يعرف صدق القرآن بتصديق العرب انه لفى او هن ايمان و اضعف ايقان وانى افصل العرب لك تفصيلا فمنهم اهل المواشى والخيام وسكنة البر كالانعام مرة وكالسباع اخرى يغير بعضهم على بعض ويسرق بعضهم بعضا سفاكون للدماء قطاعون للطرق فهم لا يعرفون الهرم من البر وان هم فى عربيتهم الا كسائر بداوى العجم فى عجميتهم انى علمهم بالكتب والمطالب والحق والباطل لا يعرفون الا الشيخ والارض والماء والجبال والاكام والهضاب والابل والغنم وان هم الا كبهائم رتع بل هم اضل فتصديقهم لا يجدى لعاقل شيئا واما اهل القرى فالزراع و اكرة النخل منهم كاهل البوادي لا يعرفون هرا من برو لا عبرة بتصديقهم وانى لهم العلم بمقدار حد البشر فى الفصاحة والبلاغة وقد تحير علماء الامصار فى

ذلك واما اهل البلد وهم يومئذ اهل مكة والمدينة ولعل بعض الغرباء من سائر البلاد فيهما فاما اهل السوق والحمالون والكناسون واهل الخانات منهم فما علمهم بالحق والباطل و حد قدرة البشر وغيره وعدم اختلاف القرآن فى مطالبه العلمية وما علمهم بحدود الفصاحة والبلاغة وهم لا يعرفون مقام شعر الشعراء و خطبة الخطباء فكيف يعرفون ان القرآن فوق حد البشر حتى يعتبر تصديقهم وكثير منهم يهود ونصارى قليلوا العلم بالعربية قليلوا الاطلاع بحدودها فهم ايضا بعيدون عن هذا المقام ولا يعتبر قولهم وعجزهم بقى من كان منهم من اهل حل وعقد ورأى وعزم فالكهنة والسحرة والمنجمون والاطباء وغير اهل الادب منهم بعيدون عن نيل معرفة القرآن ولا يعتبر تصديقهم فان فى كل فن يعتبر تصديق اهل الفن ولوتنازع شاعران فى شعرا و خطيبان فى خطبة لم يتحاكما ابدا الى منجم ولا كاهن فكيف صار تصديقهم حجة على اهل المشرق والمغرب بقى الشعراء منهم و الخطباء الفصحاء وهم يومئذ اقل عددا من جميع الفرق التى عددتها فان فى كل عصر من يكون مسلما تصديقه وكلامه ويحكم على السائرين فى كل بلد واحد او اثنان لا يزيدون على ذلك وانا افرض انه كان فى مكة والمدينة خمسون شاعرا و خطيبا يعتنى بشعره و خطبته ويعد فى المعترين و لا اظن ولا كل من يقدر على شعريعتبر عقله ويوزن به عند الاختلاف فبين هذه الخمسين افرض ان ثلاثة منهم او اربعة او عشرة كانوا ممن يتحاكم اليه فبعد ذلك كله ليس القرآن بشعريتحاكم فيه الى شاعرو ولا خطبة يتحاكم فيه الى خطيب وقانون التحاكم بين العرب والعجم ان لا يتحاكم فى الخطب الى شاعرو ولا فى الشعر الى خطيب ليس الشعر من فنه ولا فى الرسائل الى خطيب ولا شاعر وليس القرآن باعتراف الكل بشعرو ولا خطب ولا رسالة ولم يكن فصحاء العرب يومئذ الا من هذه الاصناف وهم جهال بالعلوم والحكم واخبار الماضين و سنن المرسلين و جهال ببلاد العالم و جزائره و اطرافه ولعل فى البحر جزيرة للعرب وفيه قوم عرب هم افصح من اهل مكة و ابلغ وهم لا يعلمون و لعل من تقدم عليهم لوسمع القرآن او من تأخر ادعى انه يأتى بمثله فكيف يعتبر تصديق نفوس خمسة وستة او عشرة من الذين ليسوا من اهل فى القرآن فى القرآن و يجب على اهل المشرق والمغرب ان يطيعوا هؤلاء النفهه غاية ما يعلمه هؤلاء عجزانفسهم عن الاتيان بمثله واما انه هل الفصاحة لها حد يعرف منه حد البشر والخارق لعاداتهم ام لا فليس معرفته من شأنهم فان علماء الاسلام بعد التنبه فى هذه المسألة مختلفون ولم يعرفوا حقيقته فكيف يعرف ذلك شاعر جاهل بسنن المرسلين و افعال الله و افعال الخلق و كيف جاز تقليده لجميع علماء الاعصار و الامصار و ليسوا من اهل معرفة حدود البشرية و الربوبية و ليسوا بمطلعين على اهل العالم نعم غاية امرهم عجزوا عن الاتيان بمثله و هذا

مسلم لاشك فيه ولا ريب يعتريه ولا يستدل بذلك على الاعجاز للبشر الا بضم امر آخر من الله علينا به في جميع امورنا ولعمري ان الناس تنبهوا في هذه الايام وزاد علومهم واطلاعهم على احوال الخلق و عجائب ما في العالم وغرور من اغتر وحيلة من احتال ولا يمكنهم القناعة بادلة السلف الغافلين الجارين على صدقهم وحسن ظنهم بالناس فلا يكفيهم تلك العلوم وتلك الرسوم ولذلك اظهر الله تعالى شأنه هذه العلوم التي اتى بها شيخنا الاوحد وملاذنا الامجد الشيخ احمد اعلى الله مقامه ورفع في الخلد اعلامه وشكر الله سعيه و جازاه عن الاسلام والمسلمين خير جزاء المحسنين وايم الله قسم صدق انه لولا بعثه الله في هذه الاعصار لانطمس اعلام الدين وعفى رسم الاسلام المتين ولا رتد كثير من المسلمين و ضل جم غفير من المؤمنين وانما حفظ بوجوده الشريف الاسلام على المسلمين و امسك قلوب المؤمنين كما يمسك سكان السفينة ربانيها اللهم اجزه عنا جزاء لا يحصى ويكون لحقه علينا كفاء وزده من فضلك ما ليس له حد ولا انتهاء فانك شكور وهاب بالجملة اهل هذا الزمان لا يمكنهم ان يبنوا بناء اسلامهم على تصديق الاعشى وكعب و وليد و لبيد واصحاب الخمرور الفجور الجهال الشعراء الفساق ان القرآن ليس من كلام البشر وانه كلام الله نعم تصديقهم على انفسهم جائز وهم مصدقون في عجزهم كجميع العرب والعجم ويحتاج الى ضم ما بايدينا و خصنا الله بها و من على اهل عصرنا باظهار هذا الامر فيهم وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ولعمري لولاه لكان امر جميع الانبياء والمرسلين وجميع الشرائع والاثار مثل القرآن لا يمكن الركون اليه ولكن بعد هذا الاصل الاصيل نحصل اليقين بامر جميع الانبياء والمرسلين و الكتب المنزلة والقرآن المبين والحمد لله رب العالمين فنقول انا لما رأينا محمدا صلى الله عليه واله قام بين يدي الله و ادعى النبوة و اتى بكتاب وقال انه كتاب الله و كلامه انزله على نحو الاعجاز وفيه علم ما كان وما يكون الى يوم القيمة و الاخبار عن الغيوب وفاق الكل في الفصاحة و البلاغة في نظم عجيب و سلاسة و حلاوة و جزالة و لا يقدر احد على الاتيان بمثله حتى انه لا يقدر احد على الاتيان بعشر سور مثله بل ولا سورة واحدة و لو كانت قصيرة بل ولا حديث واحد و لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله و كان بعضهم لبعض ظهيرا ما اتوا بمثله و رأينا الله سبحانه ما حرك احدا ولا شيئا من اجزاء العالم يقوم بازائه و يبطل دعواه من يوم ادعى الى يومنا هذا بل حلاه بحلية النور والخير و الصدق و الزهد و الورع و التقوى و كرم الاصل و النسب و علو الحسب و العلم و الحلم و النزاهة و الحكمة و الذكرو الفكر و النباهة و الوقار و السكينة و نوه باسمه في الكتب السالفة على السنة انبيائه و ذكر صفاته و انه يأتي بكتاب من عند الله هو كلام الله و رأينا نشر علوم التوحيد و المعاد و سنن الانبياء و

اتى بناموس عجيب غريب لايقوم العالم الا به وجميعه يوافق الحكمة ويشتمل على غوامض بحيث يتنبه الحكماء والعلماء على حكمه عصرا بعد عصر وحيننا بعد حين بعد افكار وتحصيل علوم و فحص وبحث فلعمري بعد هذه التصديقات لايبقى مجال لمن لايعاند نفسه ولايخاطر بروحه ان يتأمل فى امره ومع ذلك كله لم يقم احد يقدر على معارضته وابطال دعواه باى وجه كان واما تلك الاحتمالات التى كانوا يقولون من ان محمدا صلى الله عليه وآله ملك بالتغلب وخاف الناس سيفه او لعله ما كان فى بلده من هو افضل منه واعلم وافصح حتى يقابله وكان قبل مثله او لعله يكون بعد مثله او لعلمهم عارضوه واخفاه اتباعه او لعلمهم ما اعتنوا به وامثال ذلك فكلها احتمالات ارضية يحتاج الى الجواب عنها الذين يستدلون بقرائن ارضية ولايكاد يتم دليلهم واما نحن ففى فراغ من اجوبة ذلك فان الله سبحانه لا يخاف ولا يدهن ولا يغرى بالباطل ولا يصلح ولا يغلب عليه احد فلو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله متصلا به لضربه الله بما قلنا أنفا وخالفا وحق القول ما قال فى كتابه ولوتقول علينا بعض الاقاول لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين وقال ان الله لا يصلح عمل المفسدين وهو يعلم المفسد من المصلح ولا يفلح الساحر حيث اتى فاذا لانخشي شيئا من هذه الاحتمالات ونتكل على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه فنحن نتوكل عليه فى ديننا ودياننا وهو حسبنا ونحصر نظرنا فى تصديقه فما صدقه الله صدقناه ولو لم يصدقه الناس وما كذبه كذبناه ولو صدقه الناس ولانبالى ونحن بذلك نعرف امرائمتنا ولو كذبهم جميع اهل الارض وبه نعرف امر مشائخنا ولو كذبهم جميع اهل الدنيا وبه نعرف امر ديننا من الفروع و لو امتلأ العالم احتمالات وذهب عنهم الظن ايضا وسد عليهم بابه وبقوا فى شك اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فذمتمى جميع الدنيا شكا وشبهة واخذ العالم شبهات الانجليس والفرانسة والروس والزنادقة والكفرة فلانخشاهم بحول الله وقوته ونتكل عليه ونعلم ان امره لا يشتهه بامر الشيطان ابدا ولا قوة الا بالله ونسأله ان لا يكلنا الى انفسنا طرفة عين ابدا وانت لو قصرت طرفك الى ربك وتوكلت عليه ولم تبرأ من حوله وقوته الى حولك وقوتك لوقعت فى امن وامان ولكن اذا اردت ان تعرف دينك بجهدك وقوتك لا بتليت بقليل وقال والتزلزل والاختلال فى المبدأ والمآل فثق بالله وكن من الشاكرين وقل الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله هذا سر الامر وحقيقته على نحو الاجمال ولنعنون بابا آخر للكشف عن حقيقة الحال وصفة اعجاز القرآن وانى لما كان لى اشغال كثيرة ولا بد لى من الاشتغال بها وقد كتبت سابقا فى بعض الكتب شرح صفة الاعجاز انقل

تلك العبارات بعينها هنا ليكون هذا الكتاب فى حده وافيا بالمراد ولا يحتاج الرجوع اليه الى الرجوع الى غيره من الكتب.

الباب الثانى عشر

قد ذكرت فى كتابى الكبير المسمى بالفطرة السليمة فى بيان اعجاز القرآن مطلباً هذا لفظه لنثبت اولاً اموراً يفهم منها معنى الفصاحة والبلاغة على ما هو الواقع وكيفية صيرورة الكلام معجزاً اعلم انهم وان خصوا الفصاحة باللفظ والبلاغة بالمعنى وبينوا ذلك وشرحوا بنهاية الاتقان والاحكام الا انهم لم يأتوا بما يمس الحاجة اليه هنا فاقول اعلم ان الكلام اثر يصدر عن الانسان بتحريك آلات الكلام وضغط الهواء من الجوف على حسبها ليخرج اصوات مناسبة للمعنى الذى فى نفس المتكلم والمعنى الذى فى نفس المتكلم هو شبح من مقصودها الذى توجهت اليه وارادته انطبع فيها كالصورة فى المرآة ولما كان جميع مميزات الاشياء ينتهى الى كفياتها الاربع ويشيع فيها والنفس من حيث هى دراية مطلقة وجميع اصناف المدركات يشيع فيها وفى طبائعها ويتشاكل اذا اجتمع لديها فيها وان كان فعليته مميزة خارجة اذا انطبع فيها مدرك تميز عن غيره فى قواها ومشاعرها وشاع اذا بلغ حقيقتها وضاع فى طبائعها فادركت فى نفسها منه شيئاً مشاركاً مع خصلة اخرى من ذلك الطبع كمشاركة الحمرة والسرعة فى معنى الحرارة واليبوسة والبياض واللين فى البرودة والرطوبة فاذا ادركت ذلك امكنها التعبير عن خصلة بمشاركها لاهل عرصة المشارك وصح التعبير ثم قدرته بسائر تقاديره على حسبه فصار دالاً عليه على الحقيقة مطابقاً موافقاً معه على نهج الحكمة ولولا ذلك الباب لربما كان يعبر عن مقتضى النار باحدى مقتضيات الماء وبالعكس وكان غير موافق فلما عرفت ذلك فاعلم ان المعنى فى اللفظ كالروح فى الجسد فاذا كان هيئة الجسد مطابقة لهيئة الروح من كل جهة صلح لاستقراره فيه و صلح لان يظهر الروح منه جميع افعاله وصفاته و صلح للاستدلال به عليه من جميع جهاته و حدوده وان لم تكن مطابقة وكان فيه زيادة او نقيصة او تخالف او تضاد بالذات او بالعرض لم يصلح لاستقراره فيه ولان يظهر الروح منه جميع افعاله وصفاته ولم يمكن الاستدلال به عليه فالجسد الخاص المطابق لكل روح جسد واحد خاص فى ملك الله لا يوجد جسد آخر غيره يوافقه من كل جهة فان نسبة الشيين الممتازين الى شىء واحد لا تكون على السواء فان كان احد الجسدين مطابقاً كان الاخر الممتاز عنه وهو غيره غير مطابق فتبين ان جسد كل روح جسد خاص واحد معين من تجاوز عنه لم يجد غيره يوافقه من كل جهة وللروح جهات شتى لا يحيط بجميعها الا الذى خلقه فانه حادث له مادة وصورة ولمادته حدود نوعية بها امتازت عن سائر الانواع وفيها اذكار لعللها و

مبادئها واسبابها وله مادة نوعية و صورة نوعية و لصورته حدود شخصية من انواع الكم والكيف و الجهة و الرتبة و المكان و الوقت و الاجال و الاوضاع و النسب و القرانات و اذكار لما هو اعلى منه و ما يساوقه و ما يتاخر عنه ما لا يحيط بجميعها الا الله سبحانه و الجسد الموافق له من كل جهة هو المخصوص به و هو غير متعدد فى ملك الله سبحانه و لا يعلم بمواقعه الا الله سبحانه و هو الذى من اتى به لم يقدر احد على الاتيان بمثله ابدا فكذلك المعنى المراد هو بمنزلة الروح و اللفظ المعبر به عنه هو بمنزلة الجسد بل هما الروح و الجسد حقيقة فان المعنى امر نفسانى دهرى و اللفظ امر جسمانى زمانى قد صيغ لظهوره و تمكنه فيه فكل معنى ليس له لفظ حاك لجميع جهاته التى لا نهاية لها كما بينا الا واحد و هو وفق التعبيرات عنه و اصدقها عليه و اقربها منه و انسبها به و اشدها مطابقة و ابينها له و افصحها و ابلغها و لا يعرف ذلك اللفظ لذلك المعنى الا الذى خلقهما فاذا عبر الله سبحانه عن ذلك المعنى بذلك اللفظ كان كتعبيره عن روح زيد بجسد زيد فلا يقدر احد من الخلق على ان يأتى لذلك المعنى لفظا آخر مثله اذ كل لفظ سواه اما يزيد دلالة عليه او تنقص بالذات او بالعرض و اما تخالفه او تضاده و اما توافقه فى بعض و تخالفه فى بعض و هكذا ربما يخالفه فى المادة او فى الصورة كما او كيفا او جهة او رتبة او وقتا او مكانا او اجلا او كتابا او وضعاً او نسبة او قرانا او من جهة الطبع او من جهة الكواكب المربية او البروج او سائر المنسوبات فاللفظ المطابق مع المعنى من كل جهة ليس فى ملك الله الا واحداً و لا يعلم بموقعه الا الواحد جل شأنه و هو لا محالة افصح الالفاظ و ابلغها و اكملها و لما كانت الكائنات جمال الله الجميل و كمال الله سبحانه الكامل فلا يطرء على ذرة منها من حيث كونها فى نفسها او اقترانها و انتظامها مع غيرها نقص بوجه من الوجوه حتى قيل ليس فى الامكان احسن مما كان كانت الالفاظ الحقبة التى يعبر بها عنها ايضا على احسن نظم و ترتيب لا يوجد احسن منها ابداً و يكون نظمه و ترتيبه دالا على كمال الله سبحانه و جماله و بهائه و حكمته و اتقانه و صنعه فما ظنك حينئذ بنظم كلامه و حسن مواقع الفاظه و ترتيبها و ترصيعها و جزالتها و سلاستها و وقعها فى القلوب و عظمتها و حلاوتها و طلاوتها و بداعتها و غضاضتها و رشاقتها و مما بينا تبين ان القرآن من جميع جهاته يجب ان يكون بحيث لا يوجد فى ملكه غيره كاشفا عن مرادات الله سبحانه فصاحة و بلاغة و نظما و ترتيبا و جزالة و سلاسة و تيسرا و وقعا و اثرا و خاصة و شفاء و استيلاء على الاشياء و هيمنة و قدرة و حكمة و هكذا هذا و لاسيما ان الله سبحانه عزم على ان يجعله تعبيرا عن جميع شئون علمه و قدرته و حكمته و اسمائه و صفاته و بهائه و سنائه و مجده و جلاله و عظمته و كبريائه و كتبه و الواحه و عوالمه و قال ما فرطنا فى الكتاب من شىء و قال تبياناً لكل شىء و قال و لقد

جئناهم بكتاب فصلناه على علم و جعله دليل توحيده و قال هذا بلاغ للناس و لينذروا به و ليعلموا انما هو اله واحد و ليذكر اولوا الالباب و جعله برهان الرب الحق و قال يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و انزلنا اليكم نورا مبينا و جعله برهان النبوة فقال او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم و جعل فيه صفة جميع ما خلق في ملكه و قال و لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فتبين و ظهر لمن نظر و ابصر و انصف و اعتبر ان القرآن واحد من عند الواحد ليس له في ملك الله نظير حتى يقدر احد على ان يأتي بمثله و انه لعلم الله سبحانه كالجسد للروح و كما انه لا يقدر احد ان يخلق انسانا كما بينا كذلك لا يقدر احد على ان يخلق قرآنا آخر مثله و كما انه لا يقدر ان يكون حكيما عليما قديرا كاملا عظيما جليلا كبيرا سلطانا وليا مثله سبحانه كذلك لا يقدر احد ان يأتي بكلام مثل كلامه و لذا روى عن النبي صلى الله عليه و اله و فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه فلا يقدر مخلوق على ان يتكلم بمثله كما لا يقدر مخلوق على ان يكون كربه و هذا من المحالات و ليس في ملك الله تعبير موافق من كل جهة عن مرادات الله سبحانه و هي جميع الكائنات غيره فاني لهم ان يأتوا بكتاب مثله او بعشر سور او بسورة او بحديث مثله بل اقول بكلمة مثله في موقعها بل حرف مثله في موقعه بل حركة و سكون و فصل و وصل و خصلة من خصال حروفه من جهرا و همسا او قلقله او اطباق او غيرها في موضعها و ان كانت الكلمات و الحروف قبله و بعده متداولة بين العرب الا ترى ان العناصر مبذولة في العالم و لا يقدر احد ان يخلق منها كزيد و لا كعضومنه و لا كلحمه و دمه و عظمه و لا كعرق من عروقه و وتر من اوتاره و لا كلون عظمه و لحمه مثلا و لا كشيء من خصال اجزائه في موقعه مع ان العناصر التي هي اصولها موجودة في الدنيا مبذولة و كذلك القرآن من الحروف و الكلمات المبذولة و مع ذلك لا يسع احدا ان يأتي بتلك الحروف في مواقعها و بتلك الكلمات في مواضعها فتبين ان من زعم امكان مثل القرآن لانه من الحروف المبذولة خبط خبط عشواء فالقرآن على ذلك عالم مستقل له جسم و روح و شهادة و غيب و امر و خلق و خزائن و مراتب اذ هو تبيان كل شيء و كل من يقدر على خلق العالم يقدر على الاتيان بمثل القرآن و اني لهم ان يعرفوه او يعرفوا بعضه و لو حرفا منه حتى يأتوا بمثله فاعرف قدر الرجال بالمقال لا المقال بالرجال و هذا وجه اعجاز كلام الحق المتعال على سبيل الاجمال .

فصل: هذا الذي ذكرنا وجه صيرورة الكلام معجزا و كون القرآن بجميع جهاته معجزا ولكن الباقي الذي لم يتعرض له العلماء و من تعرض منهم ايضا اتى بامور لا تنفيذ علما و لا عملا بل لا تنفيذ الا وهما انه هب هذا وجه الاعجاز فقل لنا من يعرف ذلك من الامة من القرآن انه ذلك اللفظ الذي ليس عديله في ملك الله سبحانه حتى يشعر بانه معجز و لا يعرف ذلك احد الا الله و رسوله البتة فما سبيل الناس الى

معرفة اعجازه فلربما يقع كلام بديع من احد و يشتهه على من لايعرف حقيقة الامور ولايميز بين ذلك
 الواحد وغيره بل ربما يزعم غيره اوفق و ثمرة المعجزان يعرف المكلف عجز جنس البشر عن الاتيان
 بمثله فيذعن ان آيته من عند الله و الذى ذكرت لايعرفه غير الله و غير رسوله صلى الله عليه و اله و من
 هذا الباب اشتبه الامر على المرتضى و من تبعه حتى زعم انه يمكن المعارضة و الله يصرف الناس عنها
 اقول لم اجد من اصحابنا بيانا لذلك يكشف عن الواقع و يعرف المكلف اعجازه الا بعجز العرب عن
 الاتيان بمثله و ادلتهم معروفة و نواقضها اوضح و اقوى و لنا فى ذلك بيانات احدها انه صلى الله عليه و
 آله قام بحضرة الله الشهيد العليم الحكيم القدير الهادى الغير اللاعب بالخلق خالق السموات و الارض
 بالحق الغير المعنوى (المغرى ظ) بالباطل و نسب الى الله سبحانه انه ارسله بالحق و اعطاه هذا
 الناموس و الكتاب لينذرو و يبشره عباده و يدعوه اليه و تحدى به عباد الله سبحانه و قال لوتقولت
 على الله لاخذنى و اهلكنى و ابطل امرى و مع ذلك ان الله سبحانه لم يبطل امره و لم يبين ان قوله فرية و
 كتابه كذب و لم يقم احدا من الخلق من ملك او جن او انس يعارضه بمثل ما جاء به و لا آية تدل على
 كذبه و فريته و هو قدير عليم حكيم و لو كان كذبا و فرية لاثار رجالا مثله يأتى بكلام مثل كلامه حتى
 يبطل تحديه او يبطل امره من حيث شاء فاذا صدقه سبحانه و اشاع امره و اعلى كعبه و اظهر دينه و
 افلج حجته و شيد بنيانه و قوى ظهره و لم يعرف من فى عصره و من اتى بعده بطلانا له و هم طالبون
 باحثون مجاهدون عرفنا ان الجن و الانس لايقدرون على ان يأتوا بمثل هذا القرآن و لا بمثل بعضه كما
 تحدى صلى الله عليه و آله و لا يقدر فيما ذكرنا شىء من الشبهات التى اوردها فان استدلالى سماوى
 لا ارضى و لاتصل اليها شبهات اهل الارض فاذا تدبر المكلف فى ذلك تبين له اعجازه و عرف انه
 معجز يقينا اذ لم يوجد مثله و لم يأت احد بما يشاكلة و اما الخزعبلات التى حدثت فى هذه الايام و
 شهروها بين العوام من هذه البابية الطغام فكانت مما يضحك منها الثكلى و كذلك كل من اتى بشىء
 اراد المعارضة فابطل الله امره و صرف عن آياته كما قال ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير
 الحق الاية و اى صرف اعظم من ان الرجل منهم ربما هو فصيح فى غير موضع المعارضة فاذا عزم على
 المعارضة يسلب عنه فهمه و علمه و ينسى العربية حتى يأتى بما يظهر لكل احد خرافته و بطلانه و
 ليس معنى كلامى هذا معنى كلام المرتضى فانى اقول فى الواقع معجز كخلق العالم و يفضح الله
 سبحانه من يروم المعارضة بتفضل زائد كما يفضح كل من يروم بنقص فى اوليائه و يخذله و يمنع عنه
 المدد فيفسد و ينقطع و يخترم عن قريب فبذلك ينبغى ان يعرف كل مكلف من عربى و عجمى و
 عالم و جاهل ان القرآن معجز و ثانيها ان المعجز حادث يأتى به صاحب المعجز و هو من جنس احدى

المدرجات و يدرك بواحد من المدارك لا بغيره مثلاً شق القمر معجز من جنس المبصرات يدركه كل من له عين و غير ذى العين ليس له حظ من هذا المعجز الا من جهة اخبار بصير و انطاق الحصى معجز من جنس المسموعات يدركه كل من له سمع و اما الاصم فلاحظ له منه الا من جهة الاعلام بوجه آخر من السامعين و هكذا و القرآن معجز ولكنه مما يسمع بالاذن و يفهم بالعقل و المفهومات منها بديهية لا تحتاج الى نظر لتكرر عروضه على الشخص كقولى ان الواحد نصف الاثنين مثلاً و منها بديهية لا تحتاج الى نظر لتكرر عروضه على الشخص كقولى ان الخمسة عشر له نسبة المثلية و الربعية بالنسبة الى اثني عشر و منها ما يصير بديهيًا ولكن بعد نظر طويل كالمسائل النظرية التى تنتهى الى البديهيات ككون كل مركب حادثاً مثلاً و يخص ذلك اولاً اهل النظر و العلم فاذا بينوا ادلته و براهينه لغيرهم يعرفها ذلك الغير بعد التنبيه و ربما يحتاج الى تعليم مقدمات كثيرة و ربما يفهمه ذلك الغير و ربما لا يفهمه اذا لم يكن ذا فهم كما قال الشاعر:

وان لم يكن فهم فيأخذه عنا

فمن كان ذا فهم يشاهد ما قلنا

و كما قال آخر:

وما على اذا لم يفهم البقر

على نحت القوافى من مواقعها

وقد ينكر العين ضوء الشمس من رمد و اعجاز المعجزا ما بديهي يعرف بمحض الاطلاع انه فوق طاقة جنس البشر كالصعود الى السماء مثلاً و الطيران و انطاق الحصى فانها تعرف بمحض الاطلاع ان جنس البشر يعجزون عن مثلها و اما يحتاج الى امتحان و تتبع حتى يعرف المطلع ان نفسه و امثاله لا يقدر ان عليه فان اداه نظره و امتحانه و تتبعه الى انه اتى به من غير معالجة ظاهرة يعرف بعد ذلك انه يعجز عنه البشر و ان وجده بمعالجة فانه يعسر حصول العلم منه بعجز البشر عنه فان للصنائع العلاجية درجات لا غاية لها و ان كانت يعسر الاطلاع على حدها و القرآن من هذا القسم الاخير فانه من صناعة الكلام و يتدرج مراتبه بالتدرب و المجاهدة فلا يمكن الاطلاع على غايته التى ليس للبشر ان يتجاوزها و لذلك تحير الناس فى عرفان عجز البشر عن مثله فلا يمكن عرفان عجز البشر عن مثله منه بنفسه لولا قرائن و ادلة اخرى و لذلك ترى اعلم العلماء اذا لم يحفظ القرآن لا يميز اذا قرىء عنده آية محرفة او مغيرة او حذف منها كلمة او قدم او اخر فيها كلمة او قدمت على آية او اخرت و لو كانوا يعرفون منها بنفسها لما اشتبه عليهم و القرآن واحد من عند واحد بل كما نقل كان جمعة القرآن يطلبون الشهود على ان هذه الاية من القرآن فلو كان العرب يعرفون من نفسه و حدها عجز البشر عن مثله لما كانوا يطلبون الشهود كما لا يحتاج شق القمر الى الشهود على انه معجزا و بنفسه بين فليس القرآن

لولا دليل آخربين الاعجاز لغيراهله من عرب و عجم فاعجاز القرآن من الامور النظرية بل و اعظم النظريات و ليس من البديهيات كنطق الحصى حتى يعرفه كل عالم و جاهل بل يحتاج الى نظر طويل فانا ذكرنا ان وجه اعجازه مطابقته التامة لمرادات الله سبحانه فاما غير العرب فليس حظهم معرفة اعجازه من حيث فهم انفسهم لانهم محرومون عن فهم العربية بقى العرب فعوامهم و جمالوهم و رواعيهم و امثالهم فمحرومون عن فهم محسنات الفاظ سائر الفصحاء و فهم مراداتهم فضلا عن فهم كلمات العلماء فضلا عن فهم كلام الله بقى خواصهم فمنهم الادباء الخطباء و الفصحاء و الشعراء و امثالهم فمحرومون عن فهم كلمات العلماء فضلا عن فهم كلام الله جل شأنه و انت تعلم ان المعنى فى اللفظ كالروح فى الجسد فحيوة اللفظ بالمعنى و بلاغته و حقيقته و صدقه الا ترى ان رجلا لو اتى بكتاب فى مسائل علمية غامضة و كان علمه باطلا و استدلالاته غير مرتبطة و بياناته مزخرفة يحكم ببطلانه و سخافة كلامه و ان كان الفاظه مفردة كلها من الفاظ الفصحاء فلايكفى فى صحة دعواه كون مفردات الفاظه سليسة معروفة غير متنافرة و يحكم بان كتابه مزخرف و باطل فالعربى الاديب الشاعر الخطيب ما علمه بواقع مطالب القرآن و حقائقه و دقائقه و ادلته و براهينه حتى يحكم انه كلام حق لا يأتية الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد غاية الامر يعرفون بعض ظواهره و لربما يزعمه بعضهم انه كلام غير مرتبطب الايات و الفقرات بل ترى الاية الواحدة اولها فى شىء و آخرها فى شىء فهم ايضا محرومون عن فهم كون القرآن معجزا نعم يعرفون ان كلماته سليسة فصيحة و ذلك لايجدى فى فهم الاعجاز الا ترى ان رجلا لو نظم شعرا جميع كلماته مأنوسة بل و من الفاظ القرآن ولكن غير مرتبطة و لاتفيد مضمونا يحكم جميع الشعراء بانه مزخرف و لا يعد شعره فى كلمات الفصحاء و لا يعتنى به و انما ذلك لانهم يعرفون زخرفته و سماجته فالقرآن كتاب علم و هم محرومون عن العلم فلا يعرفون صحة مضامينه و صدق اخباره و مطابقته مع الحكم و العلوم الحققة فلا يعلمون وجه اعجازه بقى اصحاب العلم منهم فالكهانون و السحرة و المنجمون و الاطباء و المورخون و النسابة و سائر فرق العلماء منهم ايضا محرومون عن ذلك بعين ما ذكرنا فى الادباء فهم ايضا لا يعرفون وجه اعجاز القرآن بصرف فهمهم و لربما يقع كلام يكون فى نظرهم اوفق من القرآن اذ لا يعلمون وجه الحكمة كما انه ربما يظن الظان انه لو كان فى العالم شمسان او قمران او لم يكن ليل لكان اوفق بالحكمة بقى الفقهاء و علماء الاديان فاولئك يعرفون بعض وجوه الحكم العلمية و انى لهم بجميع وجوه الحكمة كما ترى ان الفقيه ربما لا يعرف وجه خلق شىء بل اشياء و اكثر الاشياء و لربما يظن انه لو كان على غير ذلك الوجه لكان اوفق بل لا يعرفون حكمة اكثر الاحكام الشرعية و لربما يظنون انه لو شرع غير ذلك لكان اوفق فهم

ايضا كسابقيهم لان القرآن مطابق مع جميع الكائنات وانى لهم بمعرفة ذلك فاولئك ايضا محرومون عن فهم اعجاز القرآن كما يفهمون سائر المعجزات وليس لاحد اولئك ان يعرف عجز جنس البشر عن معارضة القرآن بل وبعد تفكر كما انا رأينا كثيرا لا يعرفون ذلك وهم ينتحلون العلم حتى ان السيد المرتضى مع عربيته و فصاحته و علمه زعم ان العجز منه بالصرفة لا من اجل امتناع اتيان البشر بمثل الفاظه وانما ذلك لان فهم عجز جنس البشر عن الاتيان بمثله نظرى من اعظم النظريات لانه كتاب علمى ينطوى على جميع علم الله سبحانه فذلك حظ الخصيصين الابرار والحكماء الربانيين الاطهار المطلعين على الاسرار الذين يتلون مقام النبوة والوصاية فى الاقدار وليس ذلك مشرعة كل خائض و منال كل ناهض فان قلت انك قلت ان احدا من الخلق غير الله و غير رسوله لا يطلع على ذلك الجسد المطابق من كل جهة مع الروح فكيف قلت ان الحكماء الربانيين يعرفون وجه اعجاز القرآن ويشعرون بعجز البشر عن مثله قلت اما اولافلان سائر الناس يعجزون عن الاتيان بكلام مثل كلام ذلك الحكيم فان كلام كل متكلم حاك عن علمه فاذا لم يكن علمه عند احد من الخلق عرف انهم لا يقدرين على الاتيان بمثل كلامه فاذا عرف عجز نفسه عن الاتيان بمثل القرآن عرف عجز الكل واما ثانيا فلان الانسان و ان لم يكن بالغا درجة فانه اذا كان تاليا لها يعرف آثارها ويستيقن كما ان من له قوة قريبة فى الاجتهاد يعرف المجتهد ويستيقن و ان لم يكن بنفسه مجتهدا فكذلك اولئك الحكماء و ان لم يبلغوا مبلغ الرسالة والوصاية حتى يحيطوا بالاشياء الا انهم لغاية علمهم بكثير من الحقائق يعرفون ان هذا الكلام هو الكلام الواحد الذى لا عدل له لما يلوح لهم من آثاره و يعرفون شيئا بعد شىء من اسراره كما يعرف غير البالغ مبلغ الحكمة التامة كلام الحكيم البالغ انه فى غاية المتانة والرزانة وانه عاجز عن الاتيان بمثله واما ثالثا فانهم يرون من انوار القرآن و آثاره و عجائب تصاريفه فى الملك ما يعرفون به انه كلام الله الحق و غيره لا يكون كذلك ولا يرى تلك الاثار غيرهم واما رابعا فانهم يشاهدون من احتوائه على العلوم والحقائق والحكم و اسرار الامرو الخلق والجبروت والملكوت والملك و طيه علومها جملة فى حرف او حركة او صفة من صفات الحروف او كلمة او آية ما يعجز عن جمعه البشر فى مثلها فيعرفون انه كلام الله و غيرهم لا يشاهد ذلك و ليس حظه واما خامسا فانهم يرون فيه تجلى الله سبحانه لخلقه به و ظهور انوار عظمتهم و جلاله و كبريائه كما روى لقد تجلى الله سبحانه لعباده فى كلامه ولكن لا يبصرون فهم يبصرون كما قال عليه السلام ما زلت اردد هذه الاية حتى سمعتها من قائلها فيعرفون بذلك انه كلام الله العلى العظيم و غيرهم لا يرون تلك الانوار ولا يطلعون على تلك الاسرار فلا يفهمون عجز جنس البشر عنه بالجملة شعور عجز جنس البشر عن الاتيان بمثل القرآن ليس الا حظ الحكماء

الربانيين الراسخين فى العلم المستحفظين لعلم الله سبحانه واما غيرهم فليس لهم الا التسليم لاولئك وتصديقهم واقتداء بهم والتأسى بهداهم كما يقتدى الاعمى بالبصير والاصم بالسميع والجاهل بالعالم وكما يحكمون باقتداء العجم بالعرب فى الاعتراف باعجاز القرآن وثالثها ان النبى صلى الله عليه وآله اعلم العلماء واحكم الحكماء بتصديق الموافق والمخالف كيف لا وجميع العلوم الاسلامية انتشر منه وعرف ببيانه وناموسه وسنته وسياسته واخباره وآثاره اشهد شاهد بذلك وهذا العالم الحكيم اتى بهذا الكتاب وقال فيه تبيان كل شىء وضربت فيه من كل مثل واحكمت آياته ثم فصلت وما فرطنا فى الكتاب من شىء ولا رطب ولا يابس الا فيه ونحن نعلم جملا ان العجم يعجزون عن الاتيان بمثله لعدم علمهم بخصوصيات كلمات العرب ونكاتها التى لا يذوقها الا من ولد فيهم ونشأ بينهم عن بصيرة عمرا ولوتعلم العربية وعرف اللغة واما عوام العرب فيعجزون لعجزهم عن الاتيان بمثل خطبة خطيب فضلا عن القرآن واما الادباء فيعجزون فان حيوة الكلام بالمعنى والمعنى على حسب علم المتكلم وهم ليس لهم علم الا بخيالات شعرية كاذبة كما ترى انهم يعجزون عن الاتيان بمثل كتاب حكيم فضلا عن القرآن واما صنوف العلماء فانهم يعجزون عنه لانه غاية علمهم تاريخ او انساب او نجوم او كهانة او رمل او تسخير او حروف او فلسفة وامثال ذلك و ليس لهم تلك الحكمة العلمية والعملية حتى يقدروا على مثل كتاب حكيم فضلا عن مثل القرآن بقى العلماء الراسخون وهم اشد شىء اقرارا باعجازه واكثر الناس اعترافا بكونه معجزا فهم ايضا يعجزون والانس افضل من الجن بسبعين مرة فالجن ايضا لا يقدرون والملائكة والشياطين ليس لهم الا جهة واحدة من الوجود فهم ايضا عاجزون عن مثله وحال الحيوانات والنباتات والجمادات والبسائط ايضا واحدة فلا يقدر على معارضة القرآن احد من الخلق ونؤيد هذا البيان ونشيد هذا البيان لرفع ما عسى ان يورده مورد على كلامى بان الله سبحانه من ورائهم رقيب فلو علم كذب هذا المدعى المتحدى المسند نفسه اليه لبعث احدا من اصناف الخلق يبطل تحديه ويأتى بكتاب مثل كتابه او يبطل امره من غير هذا الوجه ولم يفعل فلواجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرءان لياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وبعد ضم هذا البيان لا يعترض بشىء هذا البرهان ورابعها ان الذى يكذب على الله ويطلب الرياسة ويفترى ويخترع دينا ولايبالى فاسق فاجر كافر بالله سبحانه و برسله وكتبه واليوم الاخر ومثل هذا الكافر مخذول منقطع عن الله سبحانه مختلف الحالات فاسد التدابير مخزى مخترم باطل وعن حلية الكمال والسمت والوقار وتشابه الامور عاطل وذلك بديهى فاذا كان كذلك فامثاله فى الفسقة والكفرة وافرة فان المؤمن الكامل قليل كالكبريت الاحمر واما

الفاسق الفاجر المفتري الكذاب الطالب للدنيا فكثير فاو لا مثل ذلك الكافر لا يأتي بمثل هذا القرآن الذى يهدى للتى هى اقوم و يأمر بالعدل والاحسان و ايتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكرو البغى و يعظم الله و يعظم انبياءه و رسله و اوصياءهم و يعظم امر الدين و يدعو الى الحق و ينهى عن الباطل و ينطوى على الحكم و العلوم و الامثال و اخبار الامم و الاخبار عن الغيوب و يقيم الناس بالقسط بل كلام كل احد يشاكل نفسه و طبعه و النزق لا يأتي بمثل هذا القرآن الذى هو كالطود الاعظم و قرا و وقعا و لا يدعه الله ان يأتى لانه مخزى مخذول غير موفق و لا مسدد محروم عن تشاكل الامور مضروب بالاختلاف فى الاقوال و الاحوال و الافعال و ثانيا امثاله كثيرة فاذا اتى هو بشىء يأتى بمثله امثاله لاسيما اذا تحدى و اثار احسادهم و احقادهم و سببهم و قاتلهم و ارغم انوفهم و لاسيما اذا كان مخذولا مخزيا من الله و كان اللازم فى الحكمة ابطاله فانه يبعث الله البتة من يأتى بمثله و يبطل فريته فاذا رأيناه فى نفسه ذا خلق عظيم لا ينكرو عبادة و زهادة و مكارم و سياسة و علم لا يجهل و اتى بمثل هذا الكتاب الذى يدعو الى الخير بالبداهة و ينهى عن الشر بالبداهة و يدعو الى الله و رسله و اوصيائهم و العدل و الاحسان و لم يأت احد بمثله مع بغضهم و حسدهم و وضع السيوف على هاماتهم و ارغام انوفهم و هم من اهل اللسان و من اهل الفرية و الله مخزى الكافرين عرفنا انه من عند الله و لا يقدر احد من البشر على الاتيان بمثله و اما فهم كونه فوق قدرة جنس البشر كما يفهم من شق القمر و ذوق اعجازه فليس الا حظ الحكماء الربانيين و العلماء الصمدانيين بعد الائمة المعصومين كما مرو خامسها ان النبى صلى الله عليه و آله عاش بينهم اربعين سنة و كان محل الانظار معروف النسب مشهور الحسب و كانوا يعلمون انه امى لم يختلف الى العلماء و الحكماء و اهل الاديان و لم يكتب و لم يقرأ و كان فى تلك المدة و قورا حليفا زاهدا صدوقا متينا امينا ليس فى حال من حالاته ما يكره فقام بعد اربعين سنة و نطق بعلم الاولين و الاخرين و اتى بكتاب يصدق سائر الكتب السماوية و تصدقه و يظهر ما اخفوه منها على نظم غريب و فصاحة عجيبة غريبة و ترتيب ليس يشابه شيئا من كلام العرب قديمهم و حديثهم و يخبر فيه عن الغيب و يدعو الى البر و العمل به و له وقع و عظم و هيبة فى القلوب و نسبة الى الله و تحدى به العرب فى بحبوحتهم فى بلد هو مرجع جميع العرب و حوزتهم فى قوم هم افصح العرب و ابلغهم فى فن هم اسعى الناس فى تكميله و تعديله و احرصهم على المجازاة و الله من وراء الكل رقيب فلو علم انه مفتر عليه لاثار منهم رجلا يبطل دعواه و يأتى بمثل ما اتى به او احسن و ذلك على الله يسير فاذا صدقه الله باظهار عجز مثل اولئك الحسدة الحقدة الفصحاء البلغاء الدهاة علمنا انه معجز و فوق طاقة البشر و ليس لاحد ان يأتى بمثله و مع ذلك ذوق عجز جنس البشر عنه كما يذاق

عجزه عن انطاق الحصى ليس الا لوحيدى الزمان فانه كتاب علم وانما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه وانما مثل علم سائر الناس فى هذا المقام مثل علم العامى بفضل عالم من العلماء وانه لا عدل له ولا نظير او فلان الشاعر اشعر الناس ولا يذوقون اصل مقام ذلك العالم وذلك الشاعر ولا يشعرون بعلو ينحط دونه مقام الباقيين فمما ذكرنا يحصل العلم بان الكلام يمكن ان يصير معجزا وان القرآن معجز بجميع حدوده ويعجز عن مثله جميع اصناف الخلق كما يعجزون عن خلقه انسان او عالم حرفا بحرف وادراك نفس اعجازه شأن الحكماء الخصيصة بعد الائمة الطاهرين وليس شأن عربى و عجمى وكل احد يعرف من نفسه عجز نفسه فى الحال لا ازيد من ذلك وان عرفت ذلك عرفت ان القرآن ليس بذلك المعجز الذى يعرف اعجازه كل احد بمحض السماع ولا يعرف من القرآن العجز الا بعد التتبع والعرض على الفصحاء والسعى فى مجاراته وظهور العجزو لذلك لم يقتصر النبى صلى الله عليه وآله على القرآن ولم يكتف العرب منه بمحض ذلك وكانوا يطلبون منه معجزات اخرو يأتهم بها من غير انكار عليهم فانهم ما كانوا يفهمون القرآن حتى يعرفوا اعجازه كيف وهو يقول ثم ان علينا بياناه واوردنا اخبارا عديدة تبلغ التواتران فهم القرآن حظ الائمة الطاهرين سلام الله عليهم اجمعين لا غيرهم وان القرآن معمى لا يعرفه غيرهم والناس غير مشاركين فى فهمه وذلك بين فان فيه علوم الاولين والاخرين فلو كان الناس يفهمونه لكانوا عالمين بها والحال كما ترى وان قلت ان العرب يعرفون ظاهره فانه بلسانهم قلت ذلك ايضا امر خفى على جل الناس وقد كتبنا ذلك وشرحنا وفصلنا فى بعض اجوبتنا للمسائل واجماله ان شرح الزيارة لشيخنا الشيخ احمد بن زين الدين اعلى الله مقامه مثلا هل هو عربى ام عجمى بل هو عربى وبلغة العرب فهل يعرفه العرب ام لا وكيف لا يعرفونه و هو بلغتهم والفاظهم وكيف يعرفونه ولا يفهمون منه سطرابل ولا نصف سطرابل ولا كلمة من ظواهر مراده دون بواطنه فانه كتاب علم وفهم الكلمات غير فهم المطلب وحيوة الكلمات والالفاظ بالمطالب فالعرب اذا كانوا لا يعرفون ولا يفهمون ظاهر شرح الزيارة كيف يعرفون ظاهر القرآن ويفهمونه فيه علوم ما كان وما يكون الى يوم القيمة فلا يعرفون ظاهره ابدا ابدا نعم يعرفون ان قال بمعين نطق و عبر عما فى قلبه ونزل بمعنى هبط وهكذا فانه بلغتهم وان اردت الزيادة فراجع سائر كتبنا يرفع عنك هذه الشبهة ايضا وتستيقن ان العرب لا يعرفون ظاهر القرآن ولا باطنه فاذا لم يعرفوا ظاهره ولا باطنه فاني لهم بمعرفة انه معجز بل وما كانوا يعرفون كلهم جميع الفاظه ايضا كما نقل عنهم ومع ذلك كل احد يجد فى نفسه انه لا يقدر على الاتيان بمثله ولا يعرفه ولا يعرف سر نظمه ونوع بيانه وكفى به معجزة وكفى بما ذكرنا بيانا.

الباب الثالث عشر

وقد ذكرت في كتاب ازهاق الباطل في رد الرجل الذي جرى في عصرنا القرآن وادعى السفارة بين الخلق وبين صاحب الزمان عليه صلوات الله الملك المنان في معنى اعجاز القرآن كلما انقله بلفظه لانه كامل في معناه ولكن لمن اقر بالاسلام و اراد معنى اعجاز القرآن وليس وجه الكلام الى منكرى النبوة فلا تغفل قلت اعلم ان كل ظاهر جاذب لباطن خاص به يناسبه على حسب لطافته وكثافته و شدة اعتداله وقلته فكلما كان الظاهر اشد اعتدالا واقوى تركيبا واكثر صفاء حكي باطنا اعلى و اشرف والطف واقوى واعدل على حسبه وكما كان اضعف اعتدالا وتركيبا واقل صفاء حكي باطنا ادنى واخس واكثف واضعف على حسبه وذلك ان الظاهر وعاء الباطن ومرآته الحاكية له والقابل الجاذب له ولا بد من مناسبة بينهما فمهما ائتلفت العناصر و اعتدلت نحو اعتدال تقوت و صفت و اعتدلت بحيث صارت قابلة لجذب الروح النباتية من المبدء و حاكية لها ومظهرة لها ومصدرة لآثارها ومنشأة لافعالها وبهذا الاعتدال لاتحكي الروح الفلكية ولاتجذبها ولاتظهرها لشدة كثافة جواهرها وغلظة بسائطها التي لاتكاد تنفعل للنفس الفلكية فاذا لطفت ورقت و اعتدلت و صفت حتى ساوت صفاء فلک القمر جذبت النفس الفلكية واستنزلها اليها فحكي صفاءها و اظهر افعالها فالتركيب الاول كان معتدلا ولولاه لم يظهر النفس النباتية المستعلية عليها الا ان جواهر الاول كثيفة غليظة غير مطاوعة للنفس الفلكية و جواهر الثاني لطيفة وهكذا مهما لم تلتطف ولم تصف بحيث تساوى فلک الزهرة لم تظهر فيها روحه ابدًا وان كان معتدلا في حد ذاته فان الصفاء شرط بحسب كل مقام مزيدا على الاعتدال وهكذا كلما صفت و اعتدلت حتى ساوت فلکا من الافلاك يظهر فيها روحه الى ان تصير بصفاء عرش الرحمن و اعتداله فيتعلق بها عقله الكلى ثم تصفو الى ان تلقى عنها الحدود والكثرات لان الشىء بكثافته المستلزمة لبرده المستلزمة لانقباضه يقبل الحد فكلما صفا قل برده وكما قل برده اتسع وهكذا يقل برده ويتسع حتى يضمحل برودته ويبطل حكمها فيخرج الشىء عن الحد اللازم للبرد فلا ينحد فلما صفت الجواهر و اعتدلت غاية الاعتدال حتى فنيت البرودات المستلزمة للضييق والانقباض اتسعت حتى خرجت عن الحد وساوت الجسم الكلى والجسم المطلق ولاتتعداه بعد ذلك و حينئذ يتعلق به الفؤاد ونور الله ويدخل في المتوسمين وهكذا تصعد في اللطافة شيئا بعد شىء وليس لها غاية ولا نهاية وفيه قوله تعالى كلما وضعت لهم حلما رفعت لهم علما ليس لمحبتى غاية ولا نهاية ومحبته هو خلوص الحبيب وشدة فناءه و اضمحلاله في المحبوب ومجانبته الاغيار وكشفه الاستار وانغماسه في الانوار فالمحبة هي

الانجذاب الحاصل من صفاء الحبيب نحو المحبوب وعلى هذا المثال اذا اعتدلت هذه العناصر و كان لها نوع صفاء اقتضى تعلق الروح الجمادية بها فلما زاد اعتدالها و صفائها تعلق بها الروح النباتية فاذا ازدادت اعتدالا و صفاء تعلق بها الروح الحيوانية فاذا ازدادت اعتدالا و صفاء تعلق بها الروح الجنية فاذا ازدادت اعتدالا و صفاء تعلق بها الروح الانسانية فاذا ازدادت اعتدالا و صفاء تعلق بها الروح النبوية فاذا ازدادت اعتدالا و صفاء تعلق بها الحقيقة المحمدية و اذا ازدادت صفاء و اعتدالا تترقى شيئا بعد شيء و ليس للسير الى الله غاية و لا نهاية و لا يصل السائر اليه ابدا ابدا نعم اذا ازدادت نعومة و لطافة و صفاء و اعتدالا تعلق بها المقامات و العلامات و الايات و العنوانات الى ان تزداد فى كل ذلك حتى يظهر منها المجهول المطلق و العماء الحق و هكذا الى ما شاء الله ففى كل مقام و رتبة لابد من اعتدال و صفاء يناسب ذلك المقام على ما اشرنا اليه و لعلك عرفت من هذا البيان ان مراتب التصفية تدريجية مرتبطة متصلة بعضها ببعض و ليس على نحو الطفرة و بين كل مقامين منها برزخ لامحالة فلما جاوز القابل مثلا صفاء الانسان و اعتداله و لما يبلغ صفاء الانبياء و اعتدالهم يكون له بينهما حالة برزخية لامحالة و فى هذه الحالة يحكى مقاما اعلى من مقام الانسان و اسفل من مقام الانبياء و يكون بذلك برزخا بين الانبياء و الانسان كما روى انه عرضت النبوة و الحكمة على لقمان فقبل الحكمة و عرضتا على داود فقبل النبوة و هذا البرزخ يحدث فى القابل اذا نزل المؤثر و الاثر اليه بظهورهما من جهة ان كل شيء فيه معنى كل شيء فجميع المراتب ثابتة فى كل شيء و كلما يصفو الشيء و يزداد اعتدالا يظهر عليه سر كان كامنا و يبدو منه آثاره و هذا معنى نزول العالى فى الدانى فان نزول العالى الى الدانى ليس بذاته و انما هو بظهوره الذى هو نفس الدانى و لاجل ذلك امكن البرزخ بينهما اى بين المقامين فى رتبة و ان لم يكن برزخ بين الاثر و المؤثر حقيقة فيمكن البرزخ بين كل رتبتين من ادنى المراتب الى اعلاها و ذلك البرزخ هو المعبر عنه بالراجع فى كل مقام بحسبه فان كل عال واجب بالنسبة الى دانيه و كل دان جازي بالنسبة الى عاليه و عبر عن البرزخ بينهما بالراجع فاذا عرفت ذلك و تبينت ما هنالك فاعلم ان من الظواهر الالفاظ و الحروف و الكلمات الكونية فربما تتركب الحروف فى عالم الالفاظ تركيبا لا يصلح لحكاية اكثر من عالم المثال فليس لها الا معنى واحد و باطن واحد و ربما تتركب تركيبا اعدل من الاول و اصفى فتدل على عالم المواد ايضا و ربما تتركب تركيبا اعدل من ذلك و اقوم فتدل على عالم الطبائع ايضا و هكذا الى ان تتركب تركيبا اعدل و اقوم و اصفى فتحكى مع جميع ذلك الفؤاد ايضا و هذا غاية ما فى الرتبة الواحدة ثم تترقى فى الاعتدال و الصفاء و القوام حتى تدل على جسد الانبياء ايضا ثم تزداد فى ذلك الى ان تدل على مثالهم و موادهم

وطبائعهم وهكذا الى افئدتهم ثم تترقى الى ان تزداد اعتدالا وتركيبا الى ان تدل على اجسام آل محمد عليهم السلام ايضا ثم هكذا تزداد اعتدالا و صفاء و قواما الى ان تدل على امثلتهم و موادهم و طبائعهم وهكذا الى ان تدل على حقائقهم ثم تزداد نعومة و اعتدالا و صفاء الى ان تدل على الصلوحات الامكانية و الكتاب و الاجل و الامضاء و القضاء و القدر و الارادة و المشية و هكذا تزداد نعومة و صفاء و اعتدالا فى نهج التركيب و ملايمات التأليف الى ان تدل على مقامات الواحدية و الاحدية و الالوهية و الهوية و الذات كما كانت الجواهر العنصرية فى تركيباتها حرفا بحرف الا ترى ان من العناصر قد تتألف و تكون شجرا و قد تتألف و تكون حيوانا و لا يدل جسد النبات على ما يدل عليه جسد الحيوان مع ان كليهما من العناصر الاربعة و قد تتألف و تكون انسانا و لا يدل جسد الحيوان على ما يدل عليه جسد الانسان مع ان كليهما من العناصر و قد تتألف و يكون منه جسد نبى و لا يدل جسد الانسان على ما يدل عليه جسد النبى و قد تتألف و يكون منها جسد محمد صلى الله عليه و آله و لا يدل جسد النبى على ما يدل عليه جسد محمد صلى الله عليه و آله و هكذا و ليس ذلك الا من تفاوت مراتب الصفاء و حذف الزوائد و الغرائب و حسن التأليف على ما يليق بكل روح و يحتاج اليه كل روح فى اظهار صفاتها و اجراء افعالها و هكذا جواهر الحروف تختلف ارواحها التى هى معانيها بحسب اختلاف ائتلافها و تركيبها و صفائها بحذف الزوائد و الغرائب اللفظية و الوصفية منها و بحسب حسن صوغها و سوئه فلا كل احد يقدر ان يؤلف الفاظا و حروفا تدل على ازيد من عقله و مقامه و حده و امثل لك فى ذلك مثلا ان البناء يقدر على ان يؤلف اللبن و الطين و الماء حتى يجعل بناء يستقر فيه الاجسام و يدل كل جزء من بنائه على ما يستقر فيه بحسب تأليفه و تركيبه مثلا يدل بيت من بيوته على انه المضيف و يحل فيه الضيف و بيت على انه لاجل ان يحل فيه النساء و بيت على انه لاجل المخزن و بيت على انه لاجل الاصطبل و بيت على انه لاجل الانبار و بيت على انه لاجل المطبخ و هكذا كل جزء منه يدل على شىء من الاشياء التى ينبغى ان يحل فيه فالبناء يقدر ان يؤلف من حروف اللبن و روابط الطين لفظا هكذا يدل على ما ينبغى ان يحل فيه و لا يقدر ان يؤلف من الماء و التراب حتى يجعله بيتا يحل فيه الروح النباتية و الحيوانية و الانسانية و هكذا فان هذا التأليف لا يحصل بالالات الجسمانية و الجوارح الجسدانية فلا يمكن ذلك التأليف باليد و الرجل و يحتاج الى جراحة طبيعية و هى جراحة عن قدرته و لا تصرف له فيها الا من كان له تصرف فيها و الطبيعة بحكمه و جاحرة من جوارحه فهو يمكنه تركيب العناصر بحيث يحل فيها الروح النباتى و هو كالمملك المؤلف للنبات و اما هذا المملك لا يقدر ان يؤلف العناصر بحيث يحل فيها الروح الفلكية لان جوارح ملك النبات طبيعية و

فى تأليف العناصر حتى يصير بيتا للحيوان يحتاج الى جارحة حيوانية فلكية فليس له ذلك وانما هو شأن الملكة الافلاكية وهكذا. وهكذا الامر فى الالفاظ حرفا بحرف الا ترى ان العامى الذى ليس له نفس علامة لا يقدر ان يؤلف الحروف تأليفا تدل على مسألة من المسائل العلمية والذى له نفس علامة فى الفقه وليس له نفس علامة بالاكسير لا يقدر ان يؤلف كلمات و حروفا تدل على علم الاكسير وان كان جميع الالفاظ من الحروف ويمكن فى الامكان جميع انحاء اقتراناتها ولكن لا كل احد يقدر على كل تركيب الا ترى ان تركيب العناصر بجميع انحائه كان ممكنا ولكن لا كل احد كان يقدر ان يؤلف منها ما يشاء فكذلك الانسان لو اجتمعوا لا يقدر ان يؤلفوا من الحروف ما يمكن لادق جوارحهم وهو عقلهم ولا يقدر ان يؤلفوا على تأليف لا يتصرف فيه جارحة العقل الا ترى ان يتصرف جارحة اليد فى تأليف النبات فهكذا لا يتصرف عقول الاناسى ان يؤلفوا من الكلام تأليفا يدل على جسد الانبياء ويحل فيه لان ذلك فوق شهادتهم ومراتب مقاماتهم وقدرة جوارحهم واما النبى فيقدر ان يؤلف من الحروف تأليفا يدل على اجسادهم او امثلتهم او غيرها من مراتبهم ولكن لو اجتمع الانبياء كلهم لا يقدر ان يؤلفوا حروفا تدل على جسد آل محمد عليهم السلام لانه فوق شهادتهم وتصرف جوارحهم ولكن هم بانفسهم يقدر ان يركبوا حروفا وكلمات تدل على اجسادهم وهكذا وهم ايضا لو اجتمعوا كلهم لا يقدر ان يؤلفوا كلمات و حروفا تدل على ما يخص به سبحانه من المقامات والصفات قال النبى صلى الله عليه وآله انت كما اثبت على نفسك لا احصى ثناء عليك وبذلك صارت اسماء الله و صفاته توقيفية و اتفقوا عليه وان لم يعرفوا وجهه وذلك لانه لا يقدر احد ان يؤلف تأليفا يدل على صفاته سبحانه ومقاماته غيره سبحانه فهو يقدر على تأليف ذلك بجوارح الهية لاهوتية فيؤلف ما يشاء كيف يشاء حتى يدل على صفاته ومقاماته ثم يعرفها خلقه ويأمرهم ان يدعوه بها ويتوسلوا اليه بها كما خلق النبى صلى الله عليه وآله وعرفه خلقه ليتوسلوا اليه به فلو اجتمع اهل السموات والارض على ان يؤلفوا اسما من اسمائه سبحانه لا يقدر ان عليه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا انظر فى ظاهر ظاهر هذا الخبر واعرف المقصود سئل امير المؤمنين عليه السلام بم عرفت ربك قال بما عرفنى نفسه قيل وكيف عرف نفسه فقال لا يشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بالناس قريب فى بعده بعيد فى قربه الخبر و فى الدعاء يا من دل على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته وايضا فى الدعاء بك عرفتك وانت دللتنى عليك ولولا انت لم ادر ما انت وقال الرضا عليه السلام ساجدا سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن اجل ذلك وصفوك سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك ولا اشبهك بخلقك انت اهل لكل خير فلا تجعلى من القوم الظالمين و كتب ابوالحسن عليه السلام ان الله اعلى واجل واعظم من

ان يبلغ كنه صفته فصفوه بما وصف به نفسه و كفوا عما سوى ذلك الى غير ذلك من الاخبار و ادلة الاعتبار فليس لاحد ان يصفه بوجه من الوجوه الا ان يصف الله بشىء نفسه ويعرفه خلقه ثم يتوسلوا به اليه و يصفوه به و الا فلا يمكن لاحد فلعلك عرفت بذلك انه لا يقدر ان يؤلف كلمات و حروف مثل تأليف القرآن و لو اجتمع عليه اهل الارضين و السموات من الجن و الانس و الملائكة و الانبياء و الرسل و الائمة الطاهرين و محمد خاتم النبيين عليهم صلوات المصلين فلا يقدر ان يؤلف كلمات و تركيب حرفين من الكتاب على النهج الذى ركب الله سبحانه و على الوضع الذى وضعه الله و لا تزعم ان لفظة قال مثلاً قاف و الف و لام و كل العرب كان يقول و نحن ايضا نقول فان مثلك فى ذلك مثل من صنع وردة من الخرق و المفاتيح و زعم انه كالورد النبات و هو ينبت و ما صنعت لا ينبت و هو حى و هذا ميت و هو يؤثر و هذا لا يؤثر الا ترى انك لو اهنت بمكتوب «قال» على انه من القرآن كفرت و لو اهنت به على انه قولى لم تكفرو و لو لم تكن فى تلك الكلمة روح لما اثر هذا التأثير الا ترى انه يؤخذ من القرآن ما يشاء لما يشاء و يوضع فى اللوح و يرقى به و يؤثر و يشفى و لا يؤثر قولك قال ابدى فى رقى و لا غيرها و هل ذلك الا لاجل ان فى كلامه تعالى روحا و ليس فى كلامك روح و ان القرآن يجىء يوم القيمة بهيئة رجل و يشفع لكل من تمسك به فى دار الدنيا و كلامك ليس هكذا و انما ذكرنا هذه الجهات لمن كان مسلما و عرف انه معجز و اراد ان يعرف سره و اما غير المسلم فيتحدى بان يأتى بمثله و لا يقدر ان يؤلف بقرآن من مثله و ذلك لانهم لا يسلمون ان كلمتهم ايضا لا تكون مثل كلمة الله فيتحدون بقرآن و بعشر سور و انما ذلك لصعوبة تفهيمهم ان مثل الكلمة ايضا لا يمكن صدوره من غيره سبحانه و الا لو اجتمع جميع اهل السموات و الارض على ان يؤلفوا كلمة من كلمات القرآن حتى لفظة فرعون مثلا ما قدروا عليه فان فى تركيب القرآن خصوصيات لا يقدر احد ان يؤلف الحروف عليها الا الله سبحانه بجوارح سرمدية و آلات لاهوتية الا ترى ان لفظة فرعون منك يحرق و لا حرج و لفظة فرعون من القرآن لا تمس بغير طهر و لفظة فرعون من القرآن شفاء من كل داء و امان من كل خوف و حفظ من كل سوء و ليس من غيره هكذا و بالجملة خلق القرآن كخلق محمد صلى الله عليه و آله فكما انه لا يقدر احد ان يخلق مثل محمد صلى الله عليه و آله لا يقدر احد ان يأتى بمثل القرآن و عدم القدرة على الاتيان بمثله على وجهين و وجه يمكن ان يؤتى بمثل صورته و ليس له تلك الروح و قسم لا يمكن ان يؤتى بمثل صورته ايضا فان حسن تأليفه و تركيبه فوق طاقة المخلوق اما ما يمكن الاتيان بمثله صورة فالكلمات و الحروف التى اذا تكلم بها وحدها لا يعرف انها من القرآن بنفسها من غير قرينة كلفظة كان مثلا فمثلها يؤتى بمثله صورة ولكن لا روح لما اتوا به و لا دلالة له على المقامات

والعلامات اللاهوتية واما ما لايمكن الاتيان بمثله ابدا فهو ما يفهم انه قرآن اذا قرىء وهو مقدار سورة الكوثر والتوحيد مثلا فليس لاحد ان يأتي بمثله لا صورة ولا معنى ولو اجتمع عليه الانس والجن فانه تركيب الهى بجوارح ربانية وادوات سبحانه ومثله بعينه مثل سائر الخلق فانهم وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بشبه صورة بعض الاشياء فانهم لا يقدرون ان يأتوا بمثل اكثرها صورة وجميعها معنى وانما يقدرون على تأليفات عرضية لايسمن ولا يغنى من جوع وانى لهم بالتأليفات الحقيقية والتركيبات الاصلية فتبين وظهر ان لتأليف القرآن خصوصيات من تقديم حرف على حرف وتأخير كلمة عن كلمة وآية عن آية وسورة عن سورة وخصوصيات كل حرف من قلقلتها^١ وهمسها^٢ وجهرها^٣ واطباقها^٤ وانفتاحها^٥ وشدتها^٦ ورخاوتها^٧ واستعلائها^٨ وانخفاضها^٩ وذلاقتها^{١٠} وصموتها^{١١} و صفيها^{١٢} ولينتها^{١٣} ومنحرفها^{١٤} ومكررها^{١٥} وهاويها^{١٥} ومهتوتها^{١٦} وفتحها ورفعها وخضفها وسكونها

١ قداطبج

٢ ستشحثك خصفه

٣ باقيها

٤ صضطظ

٥ خلافا

٦ اجدك قطبت

٧ لم يزوعنا

٨ خصضغظظظ

٩ خلافا

١٠ مربنفل

١١ خلافا

١٢ ضرس

١٣ واى

١٤ ل

١٥ ر

سكونها ومدها وظهورها وخفائها وناريها وهوائها ومائها وترايبها ومتواخيتها ومتناكرها ونورانيها و
ظلمانيها ومذكرها ومؤنثها ونظائرها وغرائرها وناطقها ومعجمها ومهملها ومتعاديها ويابسها و
فاتحها وجامدها وتامها ورسلاها وعلماها الكملين وعلماها الادنين وملوكها وصالحيتها واغنياها و
فقرائها واشقيائها وعوامها وحملتها وثوريتها وجوزائيتها وسرطانيها واسديها وسنبلية وميزانية و
عقربية وقوسية وجديها ودلوية وحوتية وقمرية وعطاردية وزهرية وشمسية ومريخية و
مشترية وزحلها ومدخلها الصغيرة والكبيرة والمتوسطة الكبرى والمجموعية والاكبر والاكبر
الاعظم والاكبر الاكبر وبسوطها العددية والحرفية وقواها ومنسوبات المنازل وهى شرطين وبطين و
جبهة وزبرة وصرفة ونعائم وبلدة لناريها وهقعة وهنعة وذراع وغفرو زبانا واكليل واخبية لهوائها و
نثرة وطرفة وقلب وشولة ومقدم ومؤخرو رشا لمائها وسماك وعوا ودبران وثريا وذابح وبلع و
سعود لترايبها وهكذا سائر متعلقات الحروف مما ينتسب بالايام والساعات والشهور والاعوام و
القرون والمعادن والاقاليم والمواضع والبر والبحر وغير ذلك مما يطول بذكرها البيان ومتعلقات
الكلمات من المعروف والمجهول والاسم والفعل والحرف والمعرفة والنكرة والمنصرف وغير
المنصرف والصحيح والمعتل والمفرد والتثنية والجمع والمؤنث والمذكر والتصاريح و
الاشتقاق مما يطول بذكرها البيان ومتعلقات التركيب من الاضافة والحال والتميز والنعته و
العطف والفاعل والمفعول والاسناد والابتداء والاخبار والاسم والخبر وغير ذلك مما هو معروف و
غير ذلك من متعلقات البيان والمعاني والفصاحة والبلاغة والصناعات العروضية وانطباقها على
العلوم الالهية والطبيعية وعلى علم الرياضى من النجوم والرمل والجفرو الهندسة والحساب و
الاعداد وسائر متعلقات كل واحد وحيازتها علم الشريعة والطريقة والحقيقة منطبقا بعضه على
بعض وانطباقها على الكتاب التكويني من الف الف عالم واشتمالها على علم ما كان وما يكون الى
يوم القيمة وتضمنها جميع الحالات والعلوم اجمل لك القول لا يوجد كمال ولا حسن الا اشتمله
القرآن وركب على احسن ما يمكن فى الامكان بل كل كلمة كلمة منه يشتمل على ما يشتمل عليه
الكل الم تسمع حديث الصادق عليه السلام عن ابيه عليه السلام فى تفسير الصمد على نهج الحروف
الى ان قال لو وجدت لعلمى الذى آتانى الله عزوجل حملة لنشرت التوحيد والاسلام والايمان والدين و

الشرائع من الصمد وكيف لى بذلك ولم يجد جدى اميرالمؤمنين حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء
الخبر والم تسمع ما روى عن على عليه السلام ان كل ما فى القرآن فى الحمد وكل ما فى الحمد فى
البسمة وكل ما فى البسمة فى الباء وكل ما فى الباء فى النقطة وانا النقطة تحت الباء والم تسمع انه
قال لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير باء بسم الله الرحمن الرحيم الى غير ذلك من خصوصيات
تفاسير القرآن بحيث تحير فيه العقول وتفاسير الحروف المقطعة على معان عجيبة واسرار غريبة وما
فيها من الايات القوارع والرقى والعوذ والتأثيرات والعزائم والاستخدامات للجن والملئكة و
الكواكب ورقى الهوام والدواب وغير ذلك مما لا يخفى على اهله وهو مع ذلك فى الظاهر مرتبط
بالارتباط الظاهرى وفى الباطن بالباطنى وفى التأويل بالتأويلى واذا صرفته الى اى علم وعرفته
يتصرف اليه مرتباً مؤتلفاً وفى كل وجه كلام منطبق على العالم هيهات هيهات من الذى يقدر ان
يلاحظ جميع ما ذكر فى وضع كل حرف وذاته وفى وضع كل كلمة وذاتها وفى وضع كل تركيب وذاته
ولمن الاحاطة بتمام ملك الله حتى يراعى فيه الانطباق على جميع ملك الله ولمن تلك الجارحة
المركبة لهذه الحروف على هذا النهج وانت لو شئت ان تركب الحروف بجارحة وهمك ها هو لا يحيط
بكل شىء فربما ينطبق كلامك على شىء وينفك عن باقيه او تركبه بجارحة نفسك فهكذا او عقلك
فهكذا بل لو اجتمع جميع النبيين لا يقدر ان يؤلفوا كلاما ينطبق على جميع علم الله بل محمد واله
سلام الله عليهم وان كانوا يقدر ان على تطبيق كلامهم على جميع المكونات ولكن لا يقدر ان على
تطبيقه على جميع الامكانيات والافاعيل والمقامات والعلامات والايات والامكانات التى لم تكن
بعد والله يعلم انها لو كانت كيف كانت تكون فمما ذكرنا وشرحنا وبسطنا علم ان خلقه القرآن مثل
خلق محمد وعلى والائمة عليهم السلام ولذا تواتر الخبرانى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وهو
الثقل الاكبر وعترتى وهم الثقل الاصغر فاذا القرآن هو خليفة رسول الله ولا يخلف احد احدا الا ان
يكون من طينته ونوره وجنسه ولا فرق بين على والقرآن الا انه ظهر بصورة انسان والقرآن ظهر بصورة
الكتاب بل هو رجل واحد ظهر بصورتين ولذا يأول الكتاب فى الباطن فى جميع الايات بعلى عليه
السلام وهو الكتاب المبين حقا ظهر بصورتين بالصورة الانسانية التى هى الكتاب الصغير او الوسيط
الكونى وبصورة القرآن التى هى الكتاب التدوينى اسمع ما رواه مكحول عن اميرالمؤمنين عليه السلام
فى حديث قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اولى كتاب ربي افضل الاشياء بعد الله عزوجل فاذا
كان افضل الاشياء بعد الله عزوجل ومحمد هو الافضل صلى الله عليه واله ثم على فهو محمد وهو
على فكيف يماثل محمد وعلى عليهما السلام بل القول بامكان وجود كتاب مثل القرآن هو بعينه

القول بإمكان وجود مثل محمد صلى الله عليه وآله والقول بإمكان انزال الله كتابا بعد القرآن مثله القول بإمكان انزال الله نبيا بعد محمد صلى الله عليه وآله والقول بإمكان كتاب آخر مثل القرآن قول بإمكان صيرورة مبدء الاشياء اثنين والخاتم اثنين فان القرآن هو مبدء الكتب وخاتمها كما ان محمدا صلى الله عليه وآله مبدء الاشياء وخاتمها ولما كان القرآن افضل الاشياء بعد الله سبحانه كان محيطا بجميع الاشياء ومتضمنا بها ولاجل ذلك قال سبحانه ما فرطنا في الكتاب من شيء ولفظة شيء نكرة واقعة في سياق النفي تفيد العموم بقدر سعة علم المتكلم وقال تبيانا لكل شيء ولفظة كل تفيد العموم بقدر علم المتكلم وسعته وقال لا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين والنكرة الواقعة في سياق النفي تفيد العموم بقدر علم الناطق به بالبدهة وقال ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل وهو من ادوات العموم بقدر احاطة الناطق وهكذا فإين ذكر كل هذه الامور وجميع ما في علم الله من شيء في القرآن لولا ما اذكر اتراه انه قد كذب لا والله صدق الله العلي العظيم وصدق رسوله النبي الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين وفي الخبر ما من شيء الا وفيه كتاب او سنة وان كل شيء في القرآن فاذا قال الله سبحانه كل شيء في القرآن وما تركنا فيه ذكر شيء وهو الناطق مع احاطته وسعة علمه انظر بعين عقلك هل يسع احدا ان يقول اني آتى بكتاب مثل القرآن فعلى هذا هو الله المحيط بجميع الامكان حتى وضع في كتابه كل علمه سبحانه الله عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الباب الرابع عشر

اعلم ان بعضا من اهل العلم طلب مني ان اذكر لاعجاز القرآن وجها يعرفه كل عامي معتلا بانه رب نفس لا تسكن الى تصديق الغير وتقليده حتى تعرف ما يبرد به قلبه وما ذكرناه سابقا وان كان وافيا كافيا الا انا احببنا ان نذكر ههنا جوابا خاصا له.

اعلم ان معرفة الشيء على قسمين معرفة تفصيلية ومعرفة اجمالية.

اما المعرفة التفصيلية فمن ارادها فلا بد وان يدخل البيت من بابها ويحصل ما يشترط فيها وطلب ذلك من دون تحصيل ما يتوقف عليه ظلم ظاهر وطلب خارق للعادة ولم يجربه العادة فمن اراد معرفة علم القرآن ووجوه كمالاته مفصلا يجب عليه ان يحصل جميع العلوم اذ في القرآن تبيان كل شيء وتفصيل كل مسألة فما لم يعرفه الانسان لم يفز بعلم القرآن مفصلا والحال ان علمه التفصيلي مخصوص باناس مخصوصين قال الله تعالى فيهم وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم وقال بل هي آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال انه لذكر لك ولقومك فليس معرفة اعجاز القرآن

مفصلا مشرعة لكل خائض ومنا لا لكل ناهض وقول العامى انى لا احصل علما ولا لازم عالما و
لا احضر مجالس العلم ولى اشغال دنيوية وليس لى فرصة وليس لى فهم دقيق وارىد ان افهم علم
اعجاز القرآن مفصلا وقد عجز عنه العلماء الماهرون بعد كد وجهد وتحيروا فيه فذلك ظلم ظاهر و
مخاطرة بالنفس وحسبه ما هو عليه من الجهل وليس عندنا له جواب بل لا يجيبه نبى ولا وصى نبى
اذ لوبنوا على ذلك لكان اللازم عليهم ان لا يتركوا فى الدنيا عاميا الا ويعلموه علما تفصيليا بجميع
اسرار التوحيد والنبوة والولاية والكتاب والسنة فلينصف منصف هل يمكن العلم التفصيلى
بالنجارة والخياطة من دون ممارسة ولا يمكن فان كان لا يمكن فكيف يجوز طلب ذلك فى
المعقولات الدقيقة.

واما العلم الاجمالى الذى يسكن به القلب فهو ممكن ومن ليس فى قلبه مرض وليس فى طينه الحاد
وشقاء يكتفى بذلك ويؤمن به ولا ينبغى للانسان التارك للعلوم التفصيلية ان يعود نفسه الوسوس و
عدم الركون الى ما حصل له مخافة ان يكون فى التفصيل شىء ينافى ذلك فمن يوسوس له فاما ان
يتوجه الى العلوم التفصيلية او يدفعها بالاذكار والعبادات فانها من الشيطان فاقول لاولئك العوام بعد
ما عرفوا التوحيد وصفات الرب المجيد انه من البديهيات انه قد ظهر بمكة رجل اسمه محمد بن
عبدالله وابن آمنة وظل فيها اربعين سنة لم يدع شيئا ثم ادعى النبوة ونزل الوحي عليه واتى بهذا
الكتاب نوعا يقينا وان وقع فيه تحريف فى الجملة واسقاط وكافح بها العرب وقرأها عليهم وبديهي
انه هو كتاب يدعوا الى التوحيد والاخلاص و خلع الانداد وانكار البنين والبنات والاكفاء لله سبحانه و
ترك الاوثان وتصديق الانبياء الماضين والمؤمنين ويأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغى ويدعوا الى البر والعمل به وينهى عن الفساد والعمل به ويدعوا الى
الاخلاق الزكية والخصال المحبوبة والزهد والكرم والوفاء والجود والصفح والمداراة وكل خير وينهى
عن الفرية والكذب والغيبة والظلم وامثال ذلك ولم يأمر فى كتابه بشىء ولم ينه عن شىء الا و
يصدق العقول السليمة وتستحسنه وجرى على سنة الانبياء والمرسلين ومنهاج الصالحين بحيث لو
سألت حكيم عاقل ان النبى اى رجل يكون والى اى امر يدعوا وكيف ينبغى ان يكون سيرته ويسلك
بين العباد والبلاد وما صفة النبى الحق لماتجاوز صفته ولا وصف غيره فقام بين يدى الله عزوجل و
هو الشاهد العليم الخبير القادر المقتدر يراه ويسمعه فقام بين يديه فى عبادته وبلاده وقال انى
قد جئت من عند الله الشاهد المطلع القادر غير المغرى بالباطل ولوتقولت عليه لاخذنى ولو صدقت
لصدقتنى وسكت عنى بل ايدنى وقوانى فانا نبى من عنده وهذا الكتاب كتابه قد وضع فيه علم

الاولين والآخرين على نحو لا يعرفه الا هو ومن علمه هو من نبي او وصى نبي او حكيم علمه ذلك النبي وذلك الوصى وفيه جميع ما تحتاجون اليه فى جميع اموركم الى يوم القيمة فانى خاتم النبيين وشريعتى باقية الى يوم القيمة وهذا كتابى ولا يقدر على الاتيان بمثل هذا الكتاب احد من الخلق من لدن آدم الى يوم القيمة فان فرض انه اتى آت بكلام مسجع فمن اين لهم تلك العلوم التى وضعها الله فى هذا الكتاب ومن اين لهم خصوصيات كل حرف و خصوصيات كل كلمة فمن اتى بكلام فاما يكون على قباحة يعرفها نفسه فان لم يعرفها نفس القائل فيقيض الله من يعرفه عوار كلامه من الادباء و امثالهم حتى يعرف وان لم يعرف بعد التنبيه فيقيض الله قوما يشهدون على عوار كلامه ويتفقون عليه حتى يسكن وان لم يكن فى عرض الناس احد يعرف عواره يبعث الله حكيمًا عالمًا يبين نقص كلامه و انحطاطه عن درجة القرآن وان كان فوق ادراك الحكماء يبعث الله وصيا او نبيا يظهر ويبين وجه انحطاط كلامه عن درجة القرآن البتة بالجملة على الله نقض الكلام الباطل و بيان عواره المنبىء عن انه ليس من الله ولو بازهاقه و محقه عن العالم و ابطال ذكره و اخماد ناره فهذا القرآن معجزو من عند الله و لو تقولت على الله لاخذ منى باليمين ثم لقطع منى الوتين و ما مهلنى و فضحنى بما شاء كيف شاء باسباب غيبية او شهادية و لا اقل من ان يبعث احدا يظهر فساد ادعائى و يبطل دعوائى و هو قادر على ذلك لايدارى و لا يداهن و لا يساهل و لا يغرى بالباطل و لا يصلح عمل المفسدين فلما قمت بين يدى الله و بين اظهركم و جئت بما جئت و صدقنى و سكت عن دفعى و هو مبطل كل باطل و مصدق كل حق فاعلموا انى على الحق و نبي صدق فعلى العوام الجاهلين بوجه اعجاز القرآن هذا الوجه اجتهدى يقينى كاف و اف و يرى و يشاهد انه من لدن ظهوره و ادعائه لم يأت احد بكلام يماثله و كل من اخذ فى الوقاحة و اتى بكلام ظن انه مثله قمعه الله باختلافات و ضربه الله بفسادات عديدة و اغلاط يستنكرها كل احد و لو كان القرآن من عند غير الله لكان الله قادرا على ان يبعث من يأتى بمثل كتابه فهذا هو وجه يعرفه كل عامى و عالم و يمكن ان يستيقن به عن اجتهاد فتدبر و انصف و بياناتى هذه سماوية لا يقدح فيها الاعتراضات الارضية فالشبهات القديمة كانت ترد على بياناتهم الارضية حيث كانوا يستدلون على اعجاز القرآن بتصديق الاعشى و الوليد و غيرهما من شعراء العرب و نحن لاناخذ ديننا من هؤلاء فلا يقدح فى ادلتنا ما قدح فى ادلتهم فراجع.

الباب الخامس عشر

ومن العجب العجاب و ما يزيد فى الاستغراب ما ذكره من اهل الشبهة انهم يقولون ان فى القرآن كلمات تخالف العربية كالتذكير والتأنيث و الافراد و الجمع و الحذف و الزيادة و امثال ذلك و قد ذكر

السيوطى فى كتاب الاتقان اكثرها وذكر فى كتب العربية المبسوطه قليل منها وقد تنبه بها المفسرون و
وجهوه بتوجيهات قريبه وبعيدة وقد فسرهما الائمة عليهم السلام بما يستغرب غير متبعهم وامثال
ذلك من الكلمات. اقول فى الله وللعجب انظروا ايها الاخوان الى استحواذ الشيطان على اهل هذا
الزمان حتى شكوا فى عربية القرآن و زعموا انه وقع فيه الخطاء والنسيان ويخالف القواعد الموضوعه و
الميزان و لعمري ان ذلك يضحك الثكلى افلاتنظرون افلاتتفكرون ان هذا الصرف والنحو والمعانى و
البيان علوم مستحدثة فى الاسلام وذلك ان العرب قبل بعثة النبى صلى الله عليه وآله كانوا لازمى
جزيرتهم لم يجوسوا خلال الديار ولا اختلطوا بسائر فرق العالم وكانوا فى قراهم وبواديههم يتكلمون
بلغتهم على اختلاف فرقهم وكل فرقة منهم لهم لغة وهم فيما بينهم مختلفون فى كثير من الالفاظ
مادة وصورة واستعمالا كما هو معروف مضبوط فى كتب العربية فلما بعث النبى صلى الله عليه وآله
على الخلق و علامره ودعاهم الى الجهاد جاهدوا القبائل الى ان آثر جوار الله وقام رؤساء الضلالة
مقامه واشتغلوا بالجهاد حتى فتحوا بلاد العجم وانتشروا فى بلاد العجم واسروهم وذهبوا بهم الى
بلادهم وظلوا عندهم وتناكحوا ونتجوا فصار اولادهم يخالطون آباءهم وسائر العرب حتى نطقوا بعربية
ناقصة معوجة حتى كثروا فى بلاد العرب وخالطهم اولاد العرب ونشوا معهم ففسدت السننتهم ايضا
حتى آل امر العرب الى انحراف لسانهم واعوجاجه كما ترى الان من اختلاف لسان جميع بلادهم و
قراهم وبواديههم وكل ذلك بمخالطة العجم كما تغير لسان العجم فى جميع بلادهم حين انتشار
العرب فيهم حتى صار اغلب كلمات العجم عربيا وآل امرهم الى ان نسوا عجميتهم فى كثير من
الالفاظ فلما رأى مولانا امير المؤمنين وحافظ الايمان والدين عليه السلام ذهاب العربية وفسادها و
رأى ان فى فسادها يفسد امر الكتاب والسنة ويخفى مرادتهما بل يفسد الفاظهما لفساد لسان الناقلين
ونقل السنة بالمعنى فى كثير من الاحاديث اراد حفظ الدين وضبط الكتاب والسنة فوضع قواعد
كلية واعطاها ابا الاسود الدؤلى وقال انح هذا النحو وامره بتتبع كلمات العرب وضبط موادها و
صورها وحركاتها وسكناتها فبنى على تتبع كلمات العرب وجمع بقدر الميسور و اضاف الى تلك
القواعد التى القيت اليه ثم تنبه الناس واستحسنوه وكثر طلابه فبنوا على الفحص ومعرفة القياسى و
السماعى وضبط اختلافات فرق العرب واستعانوا باشعار العرب البوالين على اعقابهم و آكلى لحم
الضب و شاربى بول الابل لان اللسان لسانهم فجمعوا سماعيات ولما كثرت قاسوا عليها قياسيات اخر
واستشهدوا بتلك الاشعار الصادرة عن صبيانهم وعجائزهم ورواعيهم وجمالهم واهل حضرهم
وبواديههم لانهم السناد فى الامر المسموع الذى ليس للعقل فيه سبيل فشاخ هذا العلم فى اعصار

الخلفاء وكثرت المباحثات والمجادلات والكتب فيه ومال الخلفاء الى هذا العلم وبذلوا عليه الاموال فكثروا في علمائهم التحاسد والتباغض والخصومات حتى اختلفوا فنفى واحد ما اثبتته الاخر واثبت واحد ما نفاه الاخر لجاجا وعنادا فانهم لم يكن تقوى يحجزهم ولا تدين يمنعهم ولم يكن تلك المسائل بمسائل دينية يخافون التشنيع عليهم وللتحاسد والتباغض فيه مجال واسع وربما يضعون لاختيارهم شواهد وضعية من عند انفسهم كما اقرؤا به في كتبهم وكثروا في الاجتهاد الى ان شاع هذا العلم في جميع البلاد ولما كان كوفة مهاجر مولانا امير المؤمنين عليه السلام واخذوا عنه غالبا ما اشكل عليهم وكانت البصرة مهاجر صاحبة الجمل وكان بين اهل كوفة والبصرة من المخاصمة والتحاسد والتحارب واللجاج ما لا يخفى كان اكثر سعى اهل بصرة في مخالفة اهل الكوفة ولذلك كثر الاختلاف بينهم واختلفوا في كثير من المسائل الادبية ولما كان بناء الناس والسلطين على اطفاء نور آل محمد عليهم السلام وعلى مخالفة امير المؤمنين عليه السلام رجحوا اهل بصرة وقدموهم ونشروا كتبهم واقوالهم وهى الكتب الشائعة بين الناس اليوم من يوم كانوا على مذهب اهل السنة او كانوا يتقون حتى نشوا على الاعتقاد بكتب اهل البصرة حتى انه لو قال اليوم احد بقول اهل كوفة فى مسألة مثلا وقال ان المصدر مشتق من الفعل كما اختاره اهل الكوفة وليس بالعكس كما اختاره اتباع صاحبة الجمل لانكر عليه عالم الناس وجاهلهم بالجملة ان علم العربية حدثت فى الاسلام لاجل ذلك وان كان مستنبط العلماء اشعار الجاهلية وكلمات اهل البوادي ورواعى الغنم وجمالى الجمل والنساء والصبيان من العرب فاستنبطوا منها ونسجوا عليها وكلما سمعوا منهم ولم يقدروا على جريانه فى كل موضع قالوا انه سماعى وانما سمعوه من امرأة او من راع او جمال ولم يكن للعرب يومئذ كتاب وعلم مضبوط حتى يستخرج نحو التكلم منه وينسج على منواله فاعظم مستند علماء الادب كلام العرب سكنة البوادي والقفار ومتبعى مساقط الامطار وليست العربية بعلم عقلى يقام عليه ادلة عقلية وانما تكلفوا ادلة ظاهرية لما سمعوه وكلما عجزوا عن الدليل قالوا انه سماعى وليس للعقل فيه مدخل فكيف صارت كتب اهل العربية وقواعدهم حاكمة على القرآن وصاحبه افصح العرب واعلمهم بالاتفاق من المؤمنين والمنافقين والكافرين وكيف ينبغى ان يعرف به صحة الفاظ القرآن وسقمها وقد جاء النبى بالقرآن وقرأ عليهم حين لم يختلط السننهم ابدا بلسان قوم وكانوا فى غاية الفصاحة والبلاغة فطارت البابهم وتحيروا حتى اعترفوا واذعنوا وآمنوا ولم يقل احد منهم انه على خلاف العربية فياويلهم كيف يجوز ان يصير ميزان علم العربية كلام العجوز الساكنة فى البرآكلة الضب شاربة بول الابل ولا يكون كلام محمد صلى الله عليه واله ميزان علم العربية وصاروا يزنون

كلامه بكتب العربية ويزعمون ان فيه اغلاطا على خلاف العربية هلانزلوه هؤلاء المرتدين عن الاسلام منزلة امرأة من العرب ويقولوا ان لفظته هذه سماعية و ان ذكر مؤنثا او انث مذكرا يقولوا قد جاء الوجهان فى العربية كما قد جاء الوجهان فى كثير من الالفاظ و ان افرد جمعا او جمع مفردا فكذلك فان كل ذلك سماع من العرب و كم من لفظ مفرد الصورة يستعمله العرب فى مقام الجمع و كم من لفظ جمع الصورة يستعمله العرب فى معنى المفرد آه آه آل امرأخر الزمان الى هنا حيث شكوا فى عربية القرآن و لم يشكوا فى عربية نساء العرب الحائضات على اعقابهم كذلك يمتحن الله هذه الامة كما امتحن الذين من قبلهم و قال بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون و لقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين و هذا الباب لا يحتاج الى ازيد من هذا الجواب و ما اشبه هذه الشبهة بشبهة بعض علماء الافرنج حيث قالوا انا بعثنا رجالا منا تعلموا العربية فلم يعرفوا معجزة فى القرآن بل وجدوا مقامات الحريرى افصح من القرآن ياويلهم ان الحريرى بنفسه خاضع لى القرآن وهم وجدوا مقاماته افصح من القرآن و انى اتحديهم ان يأتوا بكتاب بل بسورة مثل القرآن من زبورهم و انجيلهم و توريتهم و لو كانت على غير لسان العرب كما قدمنا و يقولون انها كلام الله فان لم يكن كلام الله بزعمهم مثل القرآن فكيف يكون كلام الحريرى او غيره مثل القرآن و الرجل المسكين معترف بعجزه عن الاتيان بمثله. ها ان نبينا صلى الله عليه و آله لم يتحد العرب و حدهم و انما تحدى العرب و العجم و لم يطلب منهم ان يأتوا بلسان العرب فليات كل قوم فى لسانه بكتاب على لسانه يماثل القرآن فى فصاحته فى العربية و بلاغته و لطافته و احتوائه على العلوم و الغرايب و الغيوب ان كانوا صادقين و لنعم ما قال القطب الراوندى فى الخرائج و الجرائح حيث قال ان كتاب الله المجيد ليس هو مصدقا لنبى الرحمة خاتم النبيين فقط بل هو مصدق لسائر الانبياء و الاوصياء قبله و سائر الاوصياء بعده جملة و تفصيلا و ليست جملة الكتاب معجزة واحدة بل هو معجزات لاتحصى و فيه اعلام عدد الرمل و الحصى لان اقصر سورة انما هو الكوثر و فيه الاعجاز من وجهين احدهما انه تضمن خبرا عن الغيب قطعا قبل وقوعه كما اخبر من غير خلف فيه ان شائتك هو الابتى الى ان قال و الثانى من طريق نظمه الى ان قال ثم ان السور الطوال متضمنة للاعجاز من وجوه كثيرة نظما و جزالة و خبرا عن الغيوب فلذلك لا يقال ان القرآن معجز واحد و لا الف معجزو لا اضعافه فلذلك خطأنا قول من قال ان للمصطفى صلى الله عليه و آله الف معجزة او الفى معجزة بل يزيد ذلك عند الاحصاء على الالوف انتهى. فلياتوا بكتاب مثله يشتمل على ما يشتمل فان قضية المماثلة عامة و اما الفصاحة و البلاغة و حدها فقد ذكرنا ان حد اعجازها فوق حد البشر و لاتعرف الا بعد تنبيه المنبه على قصور كلام

الجاسر عن حد القرآن واما المماثلة فى كل شىء و خاصة للقرآن فانما هى تعرف و يعرف اعجاز جميع خصال القرآن شيئاً على شىء فمن زعم انه من عند البشر و ليس بمعجز فليأت بحديث مثله فان ما من البشر و ما ليس بمعجز يمكن ان يأتى به احد من البشر فليأتوا كل قوم فى لسانهم كتابا او سورة مثله ان كانوا صادقين و انا اتحديهم بأية واحدة من الكتاب و هو بسم الله الرحمن الرحيم فليأتوا بأية تعادلها فى فصاحتها و حكمها و اسرارها و علومها و خصوصية الفاظها ان كانوا صادقين بل اتحديهم بكتاب رجل من امة محمد صلى الله عليه و آله و هو كتاب شرح الزيارة او كتاب الفوائد للشيخ الاوحد الشيخ احمد اعلى الله مقامه فليأتوا بكتاب مثل واحد منهما ان كانوا صادقين فلا والله لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا فان كتبه اعلى الله مقامه مستنبطة من القرآن و من سنة محمد صلى الله عليه و آله و من احاديث آله عليهم السلام و ليس يقدر على مثلها من كان منحطا عن درجته اعلى الله مقامه و هو اوحى الزمان بل لا والله لا يقدر على ان يأتوا بمثل ورقة من كتابه بل و لا صفحة مع انه لم يأت بها على سبيل الاعجاز فاذا لم يأتوا بمثل صفحة من كتاب رجل واحد من امة محمد صلى الله عليه و آله كيف يظنون انه يمكن ان يؤتى بمثل كتاب محمد صلى الله عليه و آله و قد اتى به على سبيل الاعجاز غاية الامر انهم لا يدركون وجه اعجازه فليعارضوه بما يقدر على باى لسان هم مسلطون عليه حتى يظهر عوارهم هيئات هيات لا يفعلون و لن يفعلوا ابدا ابدا و صلى الله على محمد و آله الطاهرين و لعنة الله على اعدائهم و الساعين فى اطفاء نورهم اجمعين و لنختم هذا الكتاب بذكر بعض الاحاديث ليكون ختامه مسكا.

الباب السادس عشر

ففى البحار من الكافى بسنده عن ابى يعقوب البغدادى قال قال ابن السكيت لابي الحسن عليه السلام لماذا بعث الله موسى بن عمران بالعصا و يده البيضاء و آلة السحر و بعث عيسى بألة الطب و بعث محمدا صلى الله عليه و آله و على جميع الانبياء بالكلام و الخطب فقال ابوالحسن عليه السلام ان الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على اهل عصره السحرفاتاهم من عند الله بما لم يكن فى وسعهم مثله و ما ابطل به سحرهم و اثبت به الحجة عليهم و ان الله بعث عيسى عليه السلام فى وقت قد ظهرت فيه الزمانات و احتاج الناس فاتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله و بما احى لهم الموتى و ابرأ الاكهم و الابرص باذن الله و اثبت به الحجة عليهم و ان الله بعث محمدا صلى الله عليه و آله فى وقت كان الغالب على اهل عصره الخطب و الكلام و اظنه قال الشعر فاتاهم من عند الله من مواعظه و احكامه ما ابطل به قولهم و اثبت به الحجة عليهم قال ابن السكيت تالله ما رأيت مثلك قط . و من العيون بسنده

عن محمد بن موسى الرازي عن ابيه قال ذكر الرضا عليه السلام يوما القرآن فعظم الحجة فيه والدلالة المعجزة في نظمه فقال هو حبل الله المتين وعروته الوثقى وطريقته المثلى المؤدى الى الجنة والمنجى من النار لا يخلق من الازمنة ولا يفت على اللسنة لانه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل البرهان وحجة على كل انسان لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وعن ابراهيم بن العباس عن الرضا عليه السلام عن ابيه عليه السلام ان رجلا سأل ابا عبد الله عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس الا غضاضة فقال لان الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولاناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض الى يوم القيمة ومن الخرائج روى ان ابن ابي العوجاء وثلاثة نفر من الدهرية اتفقوا على ان يعارض كل واحد منهم ربع القرآن وكانوا بمكة عاهدوا على ان يجيئوا بمعارضته في العام القابل فلما حال الحول واجتمعوا في مقام ابراهيم ايضا قال احدهم اني لمارأيت قوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء كففت عن المعارضة وقال الاخر وكذا انا لما وجدت قوله فلما استياسوا منه خلصوا نجيا آيست عن المعارضة وكانوا يسرون بذلك اذ مر عليهم الصادق عليه السلام فالتفت اليهم وقرأ عليهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله فبهتوا ومن تفسير الامام عليه السلام وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله تعالى اعدت للكافرين قال العالم موسى بن جعفر عليه السلام فلما ضرب الله الامثال للكافرين الى ان قال قال الله لمردة اهل مكة وعتاة المدينة وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا حتى تجحدوا ان يكون محمدا رسول الله وان يكون هذا المنزل عليه كلامي مع اظهاري عليه بمكة الباهرات من الايات كالغمامة التي كانت تظله في اسفاره والجمادات التي كانت تسلم عليه من الجبال والصخور والاحجار والاشجار وكدفاعه قاصديه بالقتل عنه وقتله اياهم وكالشجرتين المتباعدتين اللتين تلاصقتا فقعد خلفهما لحاجته ثم تراجعهما الى امكتهما كما كانتا وكدعائه الشجرة فجاءته مجيبة خاضعة ذليلة ثم امره لها بالرجوع فرجعت سامعة مطيعة فأتوا يا معاشر قريش واليهود ويا معاشر النواصب المنتحلين بالاسلام الذين هم منه براء ويا معاشر العرب الفصحاء البلغاء ذوى اللسن بسورة من مثله من مثل محمد من مثل رجل منكم لا يقرب ولا يكتب ولم يدرس كتابا ولا يختلف الى عالم ولا تعلم من احد وانتم تعرفونه في اسفاره وحضره بقى كذلك اربعين سنة ثم اوتى جوامع العلم حتى علم علم الاولين والآخرين فان كنتم في ريب من هذه الايات فأتوا من مثل هذا الرجل بمثل هذا الكلام ليتبين انه كاذب كما تزعمون لانه كلما كان من عند غير الله فسيوجد له نظير في سائر خلق الله وان كنتم معاشر قراء الكتب من اليهود والنصارى في شك مما جاءكم به محمد من شرائعه ومن نصبه اخاه سيد الوصيين وصيا بعد ان قد اظهر لكم معجزاته التي منها ان كلمه

الذراع المسمومة وناطقه ذئب وحن اليه العود وهو على المنبر و دفع الله عنه السم الذى دسته اليهود فى طعامهم و قلب عليهم البلاء و اهلكهم به و كثر القليل من الطعام فأتوا بسورة من مثله يعنى من مثل هذا القرآن من التورية و الانجيل و الزبور و صحف ابراهيم و الكتب الاربعة عشر فانكم لاتجدون فى سائر كتب الله سورة كسورة من هذا القرآن و كيف يكون كلام محمد المتقول افضل من سائر كلام الله و كتبه يا معشر اليهود و النصارى ثم قال لجماعتهم و ادعوا شهداءكم من دون الله ادعوا اصنامكم التى تعبدونها ايها المشركون و ادعوا شياطينكم يا ايها اليهود و النصارى و ادعوا قرناءكم من الملحدين يا منافقى المسلمين من النصاب لآل محمد الطيبين و سائر اعوانكم على آرائكم ان كنتم صادقين بان محمدا تقول هذا القرآن من تلقاء نفسه لم ينزله الله عليه و ان ما ذكره من فضل على على جميع امته و قلده سياستهم ليس بامر احكم الحاكمين ثم قال عزوجل فان لم تفعلوا اى لم تأتوا يا ايها المقرعون بحجة رب العالمين ولن تفعلوا اى و لا يكون هذا منكم ابدا فاتقوا النار التى وقودها حطبها الناس و الحجارة توقد تكون عذابا على اهلها اعدت للكافرين المكذبين لكلامه و نبيه الناصبين العداوة لوليه و وصيه قال فاعلموا بعجزكم عن ذلك انه من قبل الله تعالى و لو كان من قبل المخلوقين لقد رتم على معارضته فلما عجزوا بعد التقرع و التحدى قال الله عزوجل قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا و قال على بن الحسين عليهما السلام قوله عزوجل و ان كنتم ايها المشركون و اليهود و سائر النواصب من المكذبين لمحمد فى القرآن فى تفضيله عليا اخاه المبرز على الفاضلين الفاضل على المجاهدين الذى لانظيره فى نصرة المتقين و قمع الفاسقين و اهلاك الكافرين و بث دين الله فى العالمين ان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فى ابطال عبادة الاوثان من دون الله و فى النهى عن موالاته اعداء الله و معاداة اولياء الله و فى الحث على الانقياد لآخى رسول الله و اتخاذه اماما و اعتقاده فاضلا راجحا لا يقبل الله عزوجل ايمانا و لا طاعة الا بموالاته و تظنون ان محمدا تقوله من عنده و تنسبه الى ربه فأتوا بسورة من مثله من مثل محمد امى لم يختلف قط الى اصحاب كتب و علم و لاتلمذ لاحد و لاتعلم منه و هو من قد عرفتموه فى حضره و سفره لم يفارقكم قط الى بلد ليس معه منكم جماعة يراعون احواله و يعرفون اخباره ثم جاءكم بعد بهذا الكتاب المشتمل على هذه العجائب فان كان متقولا له كما تزعمون فانتم الفصحاء و البلغاء و الشعراء و الادباء الذين لانظير لكم فى سائر الاديان و من سائر الامم فان كان كاذبا فاللغة لغتكم و جنسه جنسكم و طبعه طبعكم و سيتفق لجماعتكم او لبعضكم معارضة كلامه هذا بافضل منه او مثله لان ما كان من قبل البشر لا عن الله فلا يجوز ان لا يكون فى البشر من يتمكن من مثله فأتوا بذلك لتعرفوه و سائر النظار اليكم فى احوالكم انه مبطل كاذب على الله و ادعوا شهداءكم من دون الله الذين يشهدون بزعمكم

انكم محقون و ان ما تجيئون به نظير لما جاء به محمد و شهداؤكم الذين تزعمون انهم شهداؤكم عند رب العالمين لعبادتكم لها و تشفع لكم اليه ان كنتم صادقين فى قولكم ان محمدا تقوله ثم قال الله عزوجل فان لم تفعلوا هذا الذى تحديتكم به و لن تفعلوا اى لا يكون ذلك منكم و لاتقدرون عليه فاعلموا انكم مبطلون و ان محمدا الصادق الامين المخصوص برسالة رب العالمين المؤيد بالروح الامين و باخيه امير المؤمنين و سيد الوصيين فصدقوه فيما يخبر به عن الله من اوامره و نواهيه و فيما يذكره من فضل على و وصيه و اخيه و اتقوا بذلك عذاب النار التى وقودها حطبها الناس و الحجارة حجارة الكبريت اشد الاشياء حرا اعدت تلك النار للكافرين بمحمد و الشاكين فى نبوته و الدافعين لحق على اخيه و الجاحدين لامامته . و من تفسير الامام عليه السلام ايضا الم ذلك الكتاب لاريب فيه قال الامام عليه السلام كذبت قريش و اليهود بالقرآن و قالوا سحرمبين تقوله فقال الله عزوجل الم ذلك الكتاب يا محمد هذا الكتاب الذى انزلته عليك و هو بالحروف المقطعة التى منها الف و لام و ميم و هو بلغتكم و حروف هجائكم فأتوا بمثله ان كنتم صادقين و استعينوا على ذلك بسائر شهدائكم ثم بين انهم لا يقدرون عليه بقوله قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثم قال الله تعالى الم هو القرآن الذى افتتح بالم هو ذلك الكتاب الذى اخبرت به موسى و من بعده من الانبياء و اخبروا بنى اسرائيل انى سأنزله عليك يا محمد كتابا عربيا عزيزا لا يأتية الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد لاريب فيه لاشك فيه لظهوره عندهم كما اخبرهم انبياءهم ان محمدا ينزل عليه كتاب لا يمحوه الماء يقرأوه هو و امته على سائر احوالهم الخبر قال المجلسى رحمه الله بعد ذلك فى بيان اعجاز القرآن و وجهه زائدا على ما تقدم و هو انه صلى الله عليه و آله تحدى بالقرآن و دعا الى الاتيان بسورة مثله مصاقع البلغاء و الفصحاء من العرب العرباء مع كثرتهم كثرة رمال الدهناء و حصى البطحاء و شهرتهم بغاية العصبية و حمية الجاهلية و تهالكهم على المباهاة و المباراة و الدفاع عن الاحساب و ركوب الشطط فى هذا الباب فعجزوا حتى آثروا المقارعة على المعارضة و بذلوا المهج و الارواح دون المدافعة فلو قدروا على المعارضة لعارضوا و لو عارضوا لنقل اليها لتوفر الداعى و عدم الصارف و العلم بجميع ذلك قطعى كسائر العاديات لا يقدح فيه احتمال انهم تركوا المعارضة مع القدرة عليها او عارضوا و لم ينقل اليها لمانع كعدم المبالاة و قلة الالتفات و الاشتغال بالمهمات الى آخر كلامه اقول لولا التقرير لكان جميع هذه الادلة كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون منه على شىء هب اى دلالة فى عجز العرب على كون القرآن معجزة فوق حد البشر منذ عصر آدم الى يوم القيمة و فوق حد الجن كذلك و لم لا يضر الاحتمال اذا كان قويا و ما ضعف هذا الاحتمال لولا التمسك بالتقرير و هل هذه الادلة على

اثبات المدعى الاظنية لاتغنى من الحق شيئاً بالجملة لعمرى هذه الادلة التى يتمسك القوم بها لو جاز نبى بعد نبينا صلى الله عليه واله وجاء احد وادعى النبوة واستدل على نبوته بهذه الادلة لما آمن به احد من هذه العلماء ولا من عوام عصرنا فان هذه الادلة اوهن من بيت العنكبوت مع انه من اوهن البيوت ولذلك لايقربها احد من الخارجين عن المذهب ولكن اهل الاسلام تولدوا فى الاسلام و نشوا@ عليه واطمأنوا به فلما سئلوا عن الدليل قاموا يستدلون بهذه الادلة ويتكلفون فى كونها دليلا مفيدا للقطع وهى كما ترى ولوتدبرت فى ادلة الناس وآرائهم لصدقت عن معرفة انه من لدن آدم الى يومنا هذا والى يوم القيمة لولا دليل التقرر لم يتم دليل ابدا الا قليل بل ولا القليل ولا يمكن القطع بشىء غير المحسوسات والبديهيات الا به فلمثل هذا فليعمل العاملون واياه فليطلب الطالبون و عنه فليبحث الباحثون فانه منارهدى لا يخفى نوره ونجم اهتداء لا يستتر ظهوره فيا معشر الاخوان و جماعة الخلان عليكم بهذا الدليل فى آخر الزمان والبحث عنه فى كل آن اذ به يعرف صفات الله المنان وبه يثبت نبوة نبى الانس والجان وبه يظهر ولاية آل محمد عليهم السلام لمن له عينان وبه يثبت مقامات شيعتهم فى كل عصر و اوان وبه يثبت جميع الشرائع وفروع الايمان من عرفه وثبت عليه لم يشق ومن جهله لم يفز بشىء من اليقين الا ان يشاء الله فلما بلغ الكلام هنا ورأيت انه قد جرى على لسان القلم ما يكتفى به المكتفى ويهتدى به المهتدى وعرف الحق من الباطل والمحلّى من العاطل ورأيت ان لى اشغالا عديدة وبيدى كتب سديدة كان قلبى مشغولا باتمامها رأيت ان اختتم هذا الكتاب هيهنا فوق الفراغ من تصنيفه فى ضحوة يوم السبت الرابع من شهر ذى القعدة من شهر سنة ثلث و سبعين بعد المأتين والالف حامدا مصليا مستغفرا.